391

مكتبة الأسرة
1999

مهرجان القراءة للجميع

روائع الأدب العالمي للناشئين

عالم رائع جديد

الذوس هكسلى

لوحة للفنان: محمود الهندي

الهيئة المصرية العامة للكتاب

DR. AHMED MADY

مكتبتي
20

الذوس هكسلى
عالم رائع جديد
مكتبة الأسرة ١٩٩٩

Sun
16 aug 2009
Riyadh

المعرفة حق لكل مواطن وليس للمعرفة سقف ولا حدود ولا موعد تبدأ عنده أو تنتهى إليه.. هكذا تواصل مكتبة الأسرة عامها السادس وتستمر فى تقديم أزهار المعرفة للجميع. للطفل. للشاب. للأسرة كلها. تجربة مصرية خالصة يعم فيضها ويشع نورها عبر الدنيا ويشهد لها العالم بالخصوصية ومازال الحلم يخطو ويكبر ويتعاظم ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة... وأنى لأرى ثمار هذه التجربة يانعة مزدهرة تشهد بأن مصر كانت ومازالت وستظل وطن الفكر المتحرر والفن المبدع والحضارة المتجددة.

سوزان مبارك

Dr. Ahmed Mady

مهرجان القراءة للجميع
جمعية الرعاية المتكاملة

مكتبة الأسرة
1999
مهرجان القراءة للجميع

عالم رائع جديد

الدوس هكسلى
ترجمة: الشريف خاطر
مراجعة: مختار السويفى

تم التحميل من مكتبة

مقدمـــة

هذه رواية شهيرة من أدب الخيـال العلمى .. مؤلفها هو الأديب والمفكر الانجليزى « ألدوس ليونارد هكسـلى » الذى ولد بانجلترا عـام ١٨٩٤ ومـات عـام ١٩٦٣ .

بدأ « هكسلى » حياته الأدبية بنظم الشعر .. ولكنه اشتهر بقصصه وبرواياتـه التى وصف فيهـا المجتمع الانجليزى المعـاصر وصفا تهكميا ساخرا من معظم عاداته وتقاليده الاجتماعية . وقد ظهر اتجاهه السـاخر هـذا فى عـدد كبير من رواياته وقصصـه القصيرة وفى كثير من مقالاته الأدبية والنقدية .

وتعد هـذه الرواية من الأدب السـاخر ، مثلها فى ذلك مثل « رحلات جليفر » للأديب « دين سويفت »

ورواية « كانديد » للأديب والمفكر الفرنسى « فولتير ». حيث يدور موضوع هـذه الأعمال الأدبية المشهورة حول « نقد المجتمع » والسخريـة بعاداته وتقاليده السيئة .

وقد نشأ « ألدوس هكسـلى » فى عائلة معظم أفرادها من العلماء المشهورين فى انجلترا .. ولذلك فقد تأثر كثيرا بالعلم فى معظم أعمـاله الأدبيـة .. وخصـوصا وانه كان يدرس الطب ويؤهـل نفسـه ليصبح طبيبا .

غير أن ميوله الأدبية والفلسفية تغلبت عليـه فى النهاية فانصرف الى دراسة التصـوف والفلسفة والابداع الأدبى .. وقد تأثر كثيرا بما حدث فى أوربا أثناء الحرب العالمية الأولى « ١٩١٤ــ ١٩١٨ » حيث شهد العالم حربا ضروسـا سقط فيها القتلى ودمرت فيها الكثير من المنشآت الحضارية بسبب رغبة بعض الحكومات فى السيطرة والهيمنـة وفرض النفوذ .. وحيث أصبحت النظم السياسـية فى مختلف الدول تفرض سيطرتها على الأفراد ، بل وتفرض عليهم أيضا

طرقا للتفكير وسبلا للحياة الاجتماعية قد لا يرتضيها معظم هؤلاء الأفراد .. وحيث أصبحت الشعوب فى النهاية تحت سيطرة وتوجيه الحكومات .

وفى رواية « عالم رائع جديد » يتخيل « هكسلى » ما سوف يحدث فى المستقبل ، أو بعد ستة قرون .. تخيل أن القيم الانسانية ستختفى ، بل وسوف تصبح من الرذائل المقوتة .. وستتغير المشاعر الانسانية .. والنظم الاجتماعية كالأسرة والزواج الشرعى .. وسوف يتم صنع الأطفال فى الأنابيب والزجاجات .. وتصنيفهم حسب احتياج المجتمع .. وستحل المواد الصناعية بدلا من المواد الطبيعية .. وستضع النظم الحكومية فى المستقبل الخطط اللازمة لازالة المعاناة عن الناس .. وستحدد لهم طرق تفكيرهم بحيث تتلاشى الارادات الفردية والأفكار الخاصة بشخصية الانسان الفرد .. وستمحى

من ذاكرة الفرد كل ما يحس به من عواطف انسانية كالفرح والحزن .. بل سيصبح العالم عالما ماديا تختفى منه الحرية الشخصية .

وتهدف هذه الرواية الى السخرية بهذا العالم المستقبلى الجديد .. وتحذرنا أيضا من هذا الخطر الذى ستتعرض له الانسانية .

« رئيس التحرير »

الفصـــل الأول

مبنى رمادى منخفض ، يتكون من أربعة وثلاثين طابقا فقط . فوق المدخل الرئيسى لافتـــة كتب عليها ((**مركز لندن الرئيسى للتفريخ والتكييف**)) وكتب داخل برواز زجاجى شـــعار الدولة العالمى ، ((**اشـــتراكية عدالة ، استقرار**)) .

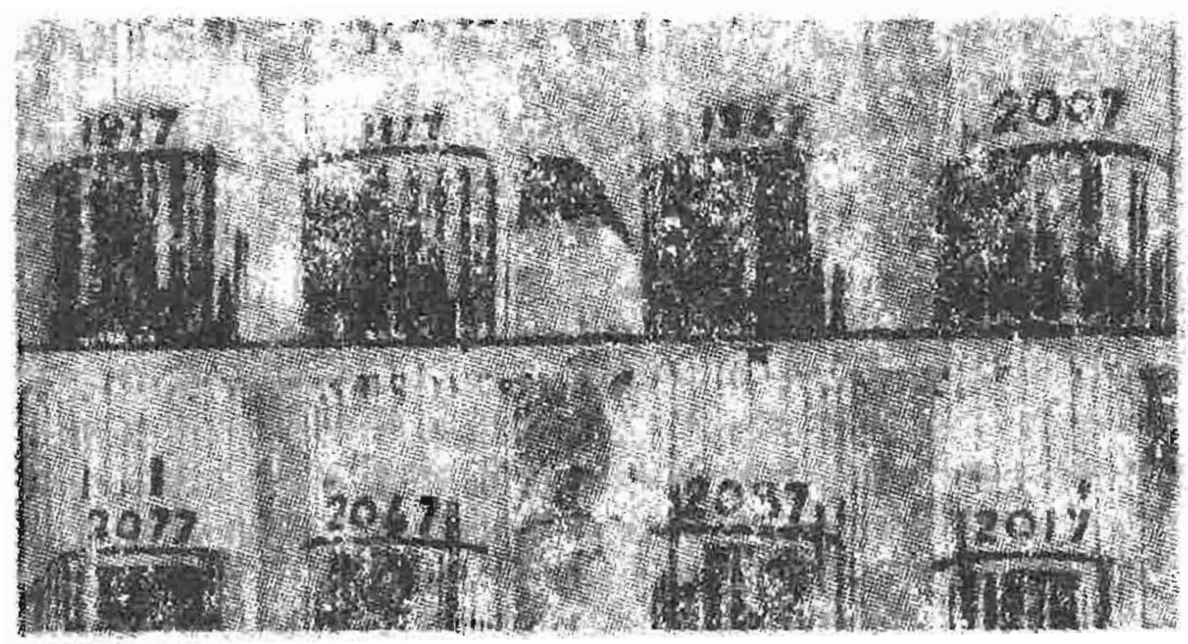

تم التحميل من
مكتبتي

كانت القاعة الفسيحة بالدور الأرضى تواجه الشمال . كان الجو باردا بالخارج رغم فصل الصيف، ورغم ارتفاع درجة حرارة القاعة نفسها ، فقد كان هناك شعاع رفيع غير مريح يخترق النوافذ . ويسقط على الزجاج والمعدن اللامع وعلى الأسطح البيضاء اللامعة الباردة للمعمل . كان الاحساس بجو الشتاء قويا فى المكان . وكانت الملابس التى يرتديها العمال بيضاء ، والقفازات التى يلبسونها فى أيديهم من مطاط شاحب ، بلون وجه رجل ميت . أما الاضاءة ، فكانت جامدة ، لا حياة فيها ، شاحبة . فيما عدا قدرا من الثراء والحيوية ، كانت تقترضه من قواعد الميكرسكوبات الصفراء الممتدة بمحاذاة الأنابيب اللامعة مثل الزبد ، والتى تسطع فى صفوف على طول مناضد المعمل .

قال المدير وهو يفتح الباب : « وهذه هى الحجرة التى تخصب فيها البويضات » .

هب ثلاثمائة عامل وقوفا بينما كانوا منحنين على أدواتهم منهمكين فى عملهم فى صمت ، عندما دخل

مدير التفريغ والتكيف . يتبعه مجموعة من الطلاب الصغار قليلو الخبرة ، وصلوا حديثا ، كلهم قلق وتعاسة . يحمل كل منهم دفترا يدون فيه ما يقوله الرجل العظيم بسرعة . كانت المناسبة غير عادية . لأن فرص الاستماع الى مدير مركز التفريخ والتكيف المركزى بلندن ، عن سير العمل كانت نادرة ، لكنه كان يصر دائما على أن يصحب الطلبة الجدد شخصيا فى جولة بالأقسام المختلفة .

وكان يبرر ذلك بقوله : « لمجرد أن اعطى لكم فكرة عامة » . فلابد بطبيعة الحال من الحصول على فكرة عامة . ليتسنى لهم أن يؤدوا عملهم بوعى ، حتى ولو كانت فكرة بسيطة ، اذ من المفترض أن يكونوا أعضاء فعالين وسعداء فى المجتمع . أما بالنسبة للتفاصيل ، كما يعرف الجميع ، فهى تؤدى الى الفضيلة والسعادة ، أما الأفكار العامة ، رغم أهميتها لبعض الأعراض ، الا أنها خطيرة . والمجتمع الآمن الفعال يعتمد على العاملين ، لا على المفكرين .

ويضيف المدير بنبرة يختلط فيها الود والحزم :
« وغدا ســوف تستقرون فى أعمال مهمة . ولن يكون لديكم وقت للأفكار العامة . فى حين أن . . . » .

ولقد كانت كلمة فى حين أن فرصة للطلبة ، حيث كانوا يدونون ملاحظاتهم بسرعة وبقدر ما يستطيعون ، من فم المدير مباشرة فى دفاترهم .

تقدم المدير داخل القاعة وهو منتصب القامــة ، رغم أنه طويل ونحيف . له ذقن مدببــة ، وشــفتان مقوستان غليظتان ، تغطيان أسنانه العريضة ، عندما لا يتكلم . هل هو عجوز ، أم شــاب ؟ عمره ثلاثون ؟ أم خمســون ؟ أم خمســة وخمسون ؟ .. كان من الصعب طرح هــذا السؤال ، خاصة فى عام الاستقرار هذا . عــام ٦٣٢ أ. ف ، بعد ظهور الفوردية .

ــ « سوف أبدأ من البداية » ، قال مدير التفريخ والتكيف ، ودون التلاميذ المجتهدون هذه العبارة فى دفاترهم : « ســأبدأ من البداية » **واســتطرد قائلا :** « هذه هى الحضانات » وفتح بابا صمم خصيصــا

ليمنع تسرب الحرارة ، وأراهم صفوفا من الأرفف بها أنابيب اختبــار عليها أرقام . **وقــال :** « هذا اسبوع جمع البويضات حيث تحفظ فى درجة حرارة الدم ، بينما عناصر الاخصاب الذكرى » ، وعندئذ فتح بابا آخر **وقال :** « يجب أن تحفظ فى درجة حرارة قدرها ٣٥ ، بدلا من ٣٧ . لأن درجة حرارة الدم من الممكن أن تفسد قدرتها الاخصابية » .

وبينما الأقلام تتسابق فى تدوين ما يقوله على صفحات دفاترهم ، أعطــاهم وصفا مختصرا عن سير عملية الاخصاب الحديثة ، تحدث أولا ، بالطبع ، عن العملية اللازمة لبدايتها « ولقد تم تقبل هذه العملية عن طيب خاطر لمصلحة المجتمع ، ولا يمكن أن نغفل ان من يعتمد عليهم فى هذه العمليــة يصرفون أجر ستة أشهر ، بمثابة أجر اضافى » ثم وصف كيفية المحافظة على البويضـــات حيـــة بعد خروجهــا من الجســم وتنميتها ، وذكر اسم السائل الذى تحفظ فيه حتى يتم نضجها ، ثم قاد الطلبــة الى مناضــد العمل ، وأراهم كيف يؤخذ هذا السائل من انابيب الاختبار ،

وكيف يفحص نقطة نقطة على شرائح زجاجية دافئة تحت الميكروسكوبات ، وكيف تفحص البويضات للتأكد من صلاحيتها ثم يتم حصرها ، ونقلها بعد ذلك الى وعاء ، (فى هذه اللحظة اخذهم ليراقبوا العملية)، وتغمر داخل محلول دافىء تسبح فيه الحيوانات المنوية بحرية ـ حيث يوجد على الأقل مائة الف منها فى كل مليميتر من المحلول ، ثم بعد عشر دقائق يرفع الوعاء من المحلول ، وبعد ذلك يتم اعادة البويضات المخصبة الى الحضانات . وتظل فصائل الألفا والبيتا حتى تعبأ بصفة نهائية داخل زجاجات ، أما فصائل الجاما والدلتا والابسيلون ، وهى فصائل أدنى ، فيتم استخراجها من الحضانات مرة أخرى ، بعد مضى ست وثلاثين ساعة فقط وتمالج بطريقة بوكانوفسكى (*) .

(★) بوكانوفسكى : اسم روسى مخترع استعمله المؤلف ليذكرنا بأعمال العالم الروسى ايفان بتروفتش بافلوف (١٨٤٩ — ١٩٣٦) صاحب التجربة المشهورة فى التحكم فى سلوك الكلاب .

« اما طريقة بوكانوفسكى » ، فتتلخص فى ان كل بويضـــة ينتج عنها جنين واحد ، انسان واحد ـ هذا هو الوضع الطبيعى ـ أما البويضـــة التى تعالج بطريقـــة بوكانوفسكى فتنقسم الى أجزاء عديـــدة ـ تتراوح ما بين ثمانية الى ستة وتسعين ، ويبدأ هـــذا الجزء فى التبرعم ليكون جنينا كاملا ، وينمو الجنين حتى يصبح انسانا كاملا . وبهذا يمكن انتاج ســـتة وتسعين انسانا بدلا من واحد . انه التقدم !

لكن واحدا من الطلبة كان من الحماقة بما فيه الكفاية وســـأل عما يميز هـــذا الأسلوب فى انتـــاج البشر ، عن الأسلوب الطبيعى .

فالتفت المـــدير بحـــدة وحملق فيه وقـــال :

« يابنى العزيز ! ألا تدرك ؟ ألا تدرك ؟ . ان طريقـــة بوكانوفسكى واحدة من الطرق الأساسية لضمـــان استقرار المجتمع » ؟ !

استقرار المجتمع . بمعنى ان يكون هنـــاك رجال ونساء لهم صفات وخصائص واحدة . فجميع عمـــال

مصنع صغيرهم نتاج بويضة واحدة عولجت بطريقة بوكانوفسكى .

وقال المدير وهو يهز رأسه : « لو أمكننا أن نعالج جميع البويضات بطريقة بوكانوفسكى دون حدود ، لاستطعنا حقيقة ولأول مرة فى التاريخ أن نصل الى تحقيق أهدافنا ، الاشتراكية ، العدالة ، الاستقرار . لكن لسوء الحظ لا نستطيع ان نفعل ذلك نهائيا . . ستة وتسعون هو الحد الأقصى ، اما المتوسط المعقول فهو اثنان وسبعون » .

وتصادف مرور شاب شعره جميل ، رآه المدير **فنادى عليه :**

ـ « يا سيد فوستر » .

فاقترب السيد فوستر .

ـ « أرجو أن تنضم الينا وتعطى هؤلاء الأولاد بعضا من خبرتك المستفادة ، بأن تشرح لهم العمليات التى تمر بها الأجنة » .

وابتسم السـيد فوستر ابتسامة متواضعـة وقـال : « بكل سرور » . ثم انصرفوا .

كانت غرفة تعبئـة الزجاجات تتسم بالحيويـة والنظام . حيث توجد مصاعد صغيرة تحمل قطعـا من أغشية أمعاء الخنازير تأتى بها من مخزن الأعضاء وتستعمل بمثابة رحم . وعندما تفتح أبواب المصعد ، فما على العـامل الا أن يمد يده ويأخذ قطعـة من الغشاء ، ويضعها داخل الزجاجة ويعيدها الى مكانها برقة . وقبل أن تبتعد الزجاجة عن متناول يد العامل فوق السير المتحرك ، تصـل قطعة أخرى من أسفل توضع فى زجاجة أخرى وهكذا ، تأتى التى تليها وتمضى هذه العملية ببطء ، ولا تنتهى طالمـا يتحرك السير .

والآن نأتى للعملية التالية . عند سير الزجاجات فوق السير المتحرك ، تقوم مجموعة أخرى من العاملين بعمل فتحة صغيرة فى كل قطعة غشاء وهى تمر أمامهم داخل الزجاجة التى تحتويها ، ويسقطون من الفتحة بويضة تؤخذ من أنابيب الاختبار ، يزحلقونها برقـة الى الداخل ، ثم يصبون محلولا ملحيا يقوم بالتغذية . .

وبعد أن يتم ذلك تنتقل الزجاجات الى الغرفة التالية . حيث يكتب تاريخ التعبئة وكل التفاصيل الضرورية عن محتويات الزجاجة ، من الخارج .

ومروا عبر غرفة تخزن فيها كل التفاصيل المدونة . وهذه التفاصيل يستخدمها المسئولون الرسميون لحساب الأعداد المطلوبة من كل فصيلة يحتاجها المجتمع فى أى وقت . ومن هنا يرسلون الأعداد المطلوبة لحجرة الاخصاب ، التى يتحتم عليها أن تمدهم بالأجنة التى طلبوها .

فتح السيد فوستر بابا ، يؤدى الى حجرة أسفل مستوى الأرض ، حارة جدا ، ولا يدخلها ضوء النهار على الاطلاق . والضوء الوحيد الموجود ، ضوء صناعى ، أحمر شاحب .

وقال السيد فوستر وهو يبتسم لنكتته :
« الأجنة مثل أفلام التصوير ، لا تتحمل سوى الضوء الأحمر » .

هذا المكان هو الذى يحدد فيه الجنس والفصيلة الاجتماعية لكل الكائنات البشرية القادمة . وأشار الى ثلاثة صفوف من الأرفف فوق بعضها . وعبر هذه الأرفف ، تمر الزجاجات بمراحل المعالجة المطلوبة قبل أن تخرج الى ضوء النهار وتتحول محتوياتها من حالة الأجنة الى كائنات حية . والوقت اللازم لاتمام هذه العملية حتى تكتمل مائتان وسبعة وستون يوما .

وقال السيد فوستر بنوع من الرضا : « لكننا استطعنا خلال ذلك الوقت أن ننجح فى انتاج الكثير منهم .. كمية كبيرة جدا » .

وأثناء تجوالهم وصف لهم الطرق المختلفة للمعالجات ، طبقا للجنس الذى سيكون عليه الجنين والمكانة التى سيشغلها فى المجتمع . وقال للطلبة كيف أن الأطفال يخرجون بعد هذه المراحل مصنفين سلفا مثل فصيلة « ألفا » أو « ابسيلون » التى يمكن أن تتولى العمالة فى المصانع مستقبلا ، او كحكام مستقبليين .. « حكام مستقبليين للعالم » كان سيقول

ذلك ، لكنه صحح خطــأه وقال بدلا من ذلك ، « مديرو المراكز مستقبلا » .

وابتسم المدير لهذه المجاملة .

أصبح مستر فوستر عمليا جدا أثناء شرحه . فوصف كيف تنمو الأجنة فى المحلول الثرى بالغـذاء الذى يحل محـل الدم . وأراهم كيفية التحـكم فى الأوكسجين الذى يصل الى كل فصيلة من الأجنــة حتى يمكن التوصل الى الدرجة الصحيحة اللازمــة للنمو بالنســبة للمخ والجسـم ، لكل نوعيـة من النوعيات . وتوقف عند رف يحمل أجنة تجهز للعمل فى المناطق الحـارة أو فى مصـانع الحديد والصلب حيث الحرارة العالية لازمة . حيث تمر الأجنة خلال نوع من الأنابيب تتعرض بدورها للحرارة ، ثم لنوع فظيع من البرودة ، من وقت لآخر ، وعندما يحين الوقت لخروجهم من الزجاجـات ويصبحون أطفـالا يحبون الحر ويخشـون البرد . وفيما بعد يكون تفـكيرهم انعكاسا لمـا تشـعر به أجسـادهم . **وأنهى السيد فوسـتر كلامـه بقوله** « نحن ندربهم على الاحتيـاج

للحرارة لنموهم الجسدى ، والمرضات بالدور العلوى سيعلمونهم حب الحرارة » .

وأضاف المدير بوفار : « وهذا ، هو سر السعادة والفضيلة .. أن تحب ما ينبغى عليك عمله . **كل تدريباتنا** تهدف الى ذلك ، أن نجعل الناس **تحب** مواقعهم الحتمية فى المجتمع » .

وفى مكان ما بين أنبوبتين كانت هناك ممرضة تقوم بعملية حساسة للغاية بابرة لمحتويات احدى الزجاجات العابرة . ووقف الطلاب ومرشدهم يراقبونها لعدة لحظات فى صمت .

وعندما انتهت من عمليتها وسحبت الابرة أخيرا من الزجاجة ، واعتدلت فى وقفتها **قال لها السيد فوستر :** « حسن ، يالينينا » .

فالتفتت الفتاة وقد أخذت . وبالرغم من الاضاءة الحمراء المعتمة ، كان بامكان المرء ان يرى كم هى جميلة جدا ! .. وفتر ثغرها عن صف أسنان كاللؤلؤ .

سالها السيد فوستر بنبرة استاذ محترف :
ـ « بماذا تحقنين الأجنة » ؟ .

« اوه . احقنها بالمضاد العادى للحمى الاستوائية ومرض النوم » .

وشرح السيد فوستر للطلاب ذلك بقوله : « العمال الذين سيعملون فى المناطق الاستوائية تبدأ معالجتهم فى هذه المرحلة حتى يقاوموا الأمراض الاستوائية .

ثم التفت الى لينينا وقال لها : « موعدنا فى الخامسة الا عشر دقائق بعد الظهر على السطح ، كالمعتاد » .

قاد السيد فوستر الطلبة الى رف آخر حيث يوجد صفوف من الجيل القادم من العمال الكيماويين، يتم معالجتهم لتحمل اخطار كميات الرصاص الكبيرة والمواد الأخرى المضرة بالصحة .. وعلى رف آخر كانت توجد المجموعة الأولى المكونة من مائتين وخمسين مهندسا متخصصا فى اصلاح الطائرات

الصاروخية فى المستقبل ، وقد وصلوا على السير المتحرك الى نقطة معينة ، حيث تشرع آلة معينة فى جعل الزجاجات تدور حول نفسها بسرعة منتظمة . **وقال فوستر :**

ـ « ذلك لتحسين احساسهم بالتوازن . فاصلاح الصواريخ أثناء طيرانها ليست بالمهمة السهلة . فنحن نقلل كمية بديل الدم عندما يكونون معتدلين ، فيشعرون بحالة من الجوع النصفى ، ونضاعف الكمية عندما يكون وضعهم مقلوبا . وبالتالى يحبب اليهم أن يكونوا فى وضع مقلوب مثل ذلك . وحقيقة ، فانهم يكونون سعداء جدا ، عندما يقفون على رؤوسهم » .

وواصل السيد فوستر حديثه قائلا : « والآن اود أن أريكم عملية تكيف طريفة جدا لفصيلة « ألفا » المضاف اليها عنصر الذكاء . ولدينا منها مجموعة ضخمة على الرف رقم ٥ ، من المستوى المتوسط » .

لكن المدير نظر الى ساعته وقال : « الثالثة الا عشرة ، ولا أعتقد انه يوجد وقت لمشاهدة الأجنة الذكية . اذ ينبغى أن نصعد الى أعلى ، الى قسم الرعاية قبل ان يستيقظ الأطفال من نوم ما بعد الظهر » .. !

الفصـــل الثـــانى

تركهم السـيد فوسـتر عند باب حجرة تفريغ الزجاجات ، حيث تستخرج الأجنة من زجاجاتها ، لتجرى عليهـا كل المراحل المهمة ، مرورا بمرحـلة تكيف الأطفال وهى المرحلة الحقيقية الأولى فى طريقهم الى الحياة ككائنات بشرية . واسـتقل مدير مركز التفريغ والتكيف هو وطلبته أقرب مصعد حملهم الى الدور الخامس . حيث توجد لوحة كتب عليهـا :

((قسم رعاية الأطفال . حجرات التكيف)) .

فتح المدير الباب . فوجدوا أنفسهم فى حجرة كبيرة واسـعة ، مضيئة ومشرقة . الحائط الجنوبى كله عبارة عن نافـذة واحدة . كانت هنـاك سـت ممرضات ، يرتدين الزى الرسمى ، المكون من بالطو أبيض وبنطلون مصنوع من مادة صناعية ، وشعرهن

تم التحميل من

يختفى تحت طواقى بيضاء ، ويقمن بوضـع أوعيـة كبيرة من الزهور فى صف طويل على الأرض .

وقفت الممرضات بلا حراك احتراما لدخول مدير مركز التفريخ والتكيف . **وقـال المدير** : « اخرجوا الكتب » .

وفى هدوء فعلت الممرضات ذلك كما أمر المدير . ووضعن الكتب بين أوعيـة الزهور ، صف من كتب الأطفال الجذابة . فتحت على صفحات مصورة بألوان زاهية لحيوانات وطيور وأسماك .

ـ « والآن ، أحضروا الأطفال » .

واسرعت الممرضـات بالخـروج من الحجرة ، وعدن خـلال دقيقة أو دقيقتين ، وكل منهن تدفـع عربة مكونة من أربعة أرفف فوق بعضها . كل رف كان محاطا بشبكة من السلك ، ومحملا بأطفال من سن الثمانية شهور ، يشبهون بعضهم تماما .

كان من الواضح . أنهم مجموعة من فصـيلة

بوكانوفسكى ، وكلهم (طالما أنهم من رتبة دلتا) يلبسون ملابس من قماش كاكى اللون .

ـ « ضعوا الأطفال على الأرض » .

وانزل الأطفال .

ـ « والآن اديروهم حتى يتمكنوا من رؤية الزهور والكتب » .

وادير الأطفال . وعلى الفور بدأ الأطفال الزحف تجاه الكتب ، منجذبين بالألوان الزاهية والأشكال الجميلة . وبينما كانوا يتحركون ، كان ضوء الشمس يدخل المكان من خلف سحابة عابرة . فانعكست اشعتها على الورود والصور ، فزادتها نورا وجمالا . وتصايح الأطفال الزاحفون فرحا وابتهاجا !

فرك المدير يديه بنوع من الرضا . **وقال** : « رائع ، ربما يفى ذلك بالفرض » .

كان بعض الأطفال قد وصل فعلا الى الكتب . ولامست أيديهم الصغيرة دون ثبات ، الزهور

والصفحات الملونة الزاهية . وانتظر المدير حتى أصبح كل الأطفال منشغلين فى سعادة . ثم قال : « راقبوا بعناية » . ورفع ذراعه وأعطى اشارة .

فضغطت رئيسة الممرضات على مفتاح ، حيث كانت تقف فى الناحية الأخرى من الحجرة .

وحدث انفجار عنيف . فلقد دقت أجراس الانذار .

فصرخ الأطفال . وأصبحت وجوههم قبيحة ملتوية من أثر الرعب .

فصاح المدير بصوت عال جدا ، حتى يسمع وقال : « والآن ، سوف نجعل الدرس أكثر وضوحا باستعمال الصدمة الكهربائية المعتدلة » .

ولوح بيده ثانية فضغطت رئيسة الممرضات على مفتاح آخر . فأصبحت صرخات الأطفال مذعورة ، أقرب الى الجنون . وتيبست أجسادهم الصغيرة . وأخذت اطرافهم الصغيرة تتحرك فجأة حركات ميكانيكية وكأنما تجذبها أسلاك خفية .

وصاح المدير شارحا : « يمكننا أن نبث صدمات كهربائية خلال كل أجزاء الأرضية ، لكن ذلك يكفى » واعطى اشارة للممرضة .

توقفت الانفجارات ، وسكتت الأجراس ، وتوقفت الأطراف الصغيرة عن الحركة ، واصبحت صيحاتهم اقل رعبا ..

قال المدير : « قدموا لهم الزهور والكتب ثانية » .

فأطاعت الممرضات ، لكن مجرد رؤية الزهور وتلك الصور المبهجة للحيوانات الأليفة ، جعلت الأطفال يتقهقرون فى رعب ، وبدأوا فى العويل بصوت عال جدا .

قال المدير وكله احساس بالرضا التام : « لاحظوا ذلك . لاحظوا ذلك » .

الكتب والضجة الشديدة ، الزهور والصدمات الكهربائية . لقد ترسخ هذا الارتباط بالفعل بين هذين

الشيئين ، فى ذهن الأطفــال ، ومع تكرار الدروس ستصبح العلاقة مستمرة دون شك .

ـ « سوف يكبر الأطفال وفى اذهانهم ما يمكن ان يطــلق عليــه الكراهيــة « الطبيعيــة » للكتب والزهور . سيكونون فى أمان من الكتب والزهور طوال حيــاتهم » **والتفت المدير الى ممرضــاته وقــال :** « أعيدوهم الى أماكنهم » .

وحمل الأطفال الذين يرتدون الملابس الكاكية ، وهم ما زالوا يصرخون على ارقف العربات ، ودفعت الى الخــارج ، مخلفين ورائهم رائحــة لبن مخمــر وهدوءا مريحا جدا .

ورفع احد الطلبة ذراعــه ليسأل ســؤالا . فقد اتضح له تماما عدم وجود اناس من مرتبة أدنى تضيع وقت الدولة فى قراءة الكتب ، كما أن هناك دائمــا مخــاطرة بقراءتهم شيئا من المُمــكن أن يعكر تكيفهم بطريقة ما ، لكنه لم يدرك المبرر بالنسبة للزهور . فما هو الضرر الذى يمكن أن يحدث بالنســبة لفصيلة الدلتا لو احبوا الزهور ؟

شرح له المدير بصبر وروية . لو أننا جعلنا الأطفال يصرخون لمنظر الزهور ، فهناك دوافع اقتصادية من وراء ذلك . منذ فترة ليست بالبعيدة جدا (منذ حوالى قرن) كانت فصائل جاما ودلتا وحتى الأبسيلون تكيف لحب الزهور .. الزهور بصفة خاصة والطبيعة البرية بصفة عامة . كان الهدف من ذلك أن يخرجوا الى الريف خلال أى فرصه ، ونتج عن ذلك استهلاكهم لوسائل النقل .

فسأله الطالب : « لكن الا يستهلكونها بالفعل » ؟

فأجاب المدير : « الى حد كبير جدا . لكن لاشيء آخر » .

وأشار الى أن الزهور والمناظر الطبيعية ، تتسم بخطأ كبير ، تكسبهم الحرية . ان حب الطبيعة لا يسمح للمصانع بأن تكون مشغولة . لذا فقد تقرر استبعاد حب الطبيعة بين الطبقات الدنيا ، استبعاد حب الطبيعة ، وليس الاحتياج الى التنقل . لأنه كان

من الضرورى بالطبع أن يواظبوا على الذهـاب الى الريف ، حتى لو كانوا يكرهونه . المشـكلة كانت فى ان نجعلهم يستهلكون المواصلات لمبرر آخر أفضل من الناحية الاقتصـادية من مجرد التأثر بمنظر الزهور والمناظر الطبيعية . لقد حلت هذه المشكلة .

وانهى المدير كلامة بقوله : « نحن نكيف الطبقات الدنيا لكراهية الريف ، لكننا فى نفس الوقت نكيفهم لحب كل رياضات الريف » .

وفى نفس الوقت نجعلهم متأكدين ان الرياضات الريفيـة تحتـــاج الى أجهزة مكلفة . ولهـذا فهم يستهلكون المنتجات الصناعيـة تماما مثل وســائل المواصلات . وهـذا هو سبب استخدام الصـدمات الكهربائيـة .

قال الطالب ، باعجاب كامل : « فهمت » .

وبدأ المدير حديثه ثانية : « حدث ذات مرة ،

حينما كان الهنا (*) فورد لايزال على الأرض ، كان يوجد صبى صغير اسمه « روبين رابينوفتش » . كان ابنا لأبوين يتحدثان البولندية . أعتقد ، انكم تعرفون ما هى البولندية ؟

ـ « لغة ميتة ، مثل الفرنسية والألمانية » .
ـ « وكلمة ، والد » ؟

خيم صمت كئيب . واحمرت وجوه العديد من الطلاب . فهم لم يتعلموا بعد الفن الصعب للتمييز بين اللا اخلاقية وبين العلم الخالص . وأخيرا انتابت واحدا منهم الشجاعة ليرفع يده . **وقال** : « اعتاد البشر على ان ... » ثم تردد . واندفعت الدماء فى وجنتيه ، ثم أكمل « حسن ، اعتاد البشر على ان ينجبوا أطفالهم بأنفسهم » .

(★) فورد على وزن لورد . وسترد كلمة فورد كثيرا فى سياق الرواية وهى تقليد لما يحدث فى المسيحية عندما نقول أوه لورد ، وتجىء هنا أوه فورد .

ـ « صحيح ، تماما » **وهز المدير راسه** .

ـ « عندما كان الأطفال غير معبأين فى زجاجات ... » .

ـ « تقصد يولدون » **صحح له المدير** . وسكت الولد تماما ، واعتراه الضيق .

قال المدير : « باختصار ، الوالدان ، هما الأب والأم » . كانت هذه لغة صعبة ، حتى ولو كانت تستعمل استعمالا علميا وليس لمجرد كلام قذر . وسقطت الكلمات كالصاعقة فى هذا الصمت الثقيل . وكرر بصوت عال كلمة « **الأم** » متمحكا فى العلم ، وهو يتكىء على ظهر كرسيه **وقال** : « هذه حقائق غير مبهجة ، اعرف ذلك . والواقع ، أن اغلب الحقائق التاريخية كذلك » .

وعاد الى حكاية روبين . ذات ليلة نسى والده ووالدته (صدمة ! صدمة) أن يغلقا الراديو فى حجرة نومه .

(ويجب عليكم أن تتذكروا أن الأطفال فى تلك

الأيام كانوا يأتون من خلال والديهم ، وليس من مركز الدولة للتكيف) .

وبينما كان نائما بدا ارسال راديو لندن فجأة . فى صباح اليوم التالى استيقظ روبين الصغير وأخذ يردد كلمات من كلمات المحاضرة الطويلة التى القاها الكاتب الساخر جورج برنارد شو . وكانت صدمته (صدمة) فظيعة ! لأنه لم يستطع أن يفهم بالطبع كلمة منها . واعتقدوا أن طفلهم أصيب بالجنون فجأة وبعثوا لاحضار طبيب . وكان ، لحسن الحظ ، يفهم الانجليزية ، فتعرف على الحديث الذى كان قد سمعه فى الليلة السابقة ، فتحقق من اهمية ما حدث وارسل خطابا الى جريدة طبية بخصوص هذا الموضوع .

« ومن هنا اكتشفت مبادىء التعليم أثناء النوم » **قال المدير ذلك بوقار ، ثم أردف : «** والآن تعالوا معى » .

وتبعه الطلاب الى مصعد آخر ، أقلهم الى الدور الرابع عشر .

وانبعث صـوت هامس من مكبرات الصـوت : « هدوء ، هدوء » وترددت نفس الكلمة « هدوء ، هدوء » من مكبرات صـوت أخرى عبر الممر . وقد استجاب الطلبة وحتى المدير نفسه ، دون تفكير ، لهذا النداء ، وساروا على أطراف أصابعهم . لقـد كانوا من فصيلة الألفا ، بالطبع ، لكن حتى فصـيلة الألفا تكيفت تكيفا متميزا .

« هدوء ، هدوء » كان جو الدور الرابع عشر مفعما بهذه الأوامر الهامسة .

وفتح المدير البـاب بحـذر . ودخلوا حجرة ذات اضاءة معتمة . كان بها ثمانون سريرا صغيرا فى صف واحد مواجـه للحـائط . وكل ما كان يمكن سماعه ، تنفس خفيف منتظم وهمهمات متواصـلة منخفضـة ، وكأن أصواتا واهنة تتحدث برقـة من مسافة بعيدة .

وقفت الممرضة عند دخولهم .

وسألها المدير بهدوء : « ما هو درس بعد ظهر اليوم ؟ » .

فاجابت **المرضة** : « كان لدينا حصة فى الأربعين دقيقة الأولى عن المراحل الأولى للجنس ، أما الآن فنستمع الى حصة عن المرحلة الأولى للضمير » .

سار المدير ببطء عبر صف الأسرة الطويل . وبكل سرير طفل نائم . ثمانون طفلا وطفلة فى لون القرنفل ، وجوههم تنضح بالصحة يرقدون فى نعومة وسلاسة يتنفسون . وتحت كل وسادة كان هناك همس .

ـ « هل قلت الحصة الأولى فى الضمير ؟ دعيهم يعيدوها مرة أخرى ، بصوت أعلى قليلا من خلال السماعة » .

وفى نهاية الغرفة كانت هناك سماعة معلقة على الحائط . فاتجه المدير ناحيتها وضغط على مفتاح .

فانطلق صوت رقيق متميز جدا وقد بدأ من منتصف الجملة « ... كل الأطفال الذين يرتدون الملابس الخضراء ، والأطفال من فصيلة دلتا الذين

الى اقل درجات الهمس ولم يعد يسمع الا من خلال السماعات الموجودة تحت الوسادات الثمانين .

ـ « كل ذلك يردد على أسماعهم مائة وعشرين مرة ، لمدة ثلاثة أيام أسبوعيا ، خلال ثلاثين شهرا أثناء نومهم ، بعد ذلك يتلقون درسا أكثر تطورا . ان التعليم أثناء النوم من أفضل الوسائل الفعالة جدا بالنسبة للتعليم الاجتماعى عن أى وقت مضى فعقل الطفل يصبح هذه المعلومات ، وحصيلة هذه المعلومات تكون عقل الطفل . وليس عقل الطفل فقط . بل عقل الشاب كذلك .. طوال فترة حياته . العقل الذى يفكر ويرغب ويقرر . وكل هذه المقترحات مقترحاتنا نحن ! » .

وصاح المدير فى غمرة سعادته وقال : « مقترحات دولتنا » .

وحدثت ضجة جعلته يلتفت .

ـ « أوه ، فورد » !

وقال بنبرة مغايرة : « لقد ايقظت الأطفال ! » .

يرتدون الملابس الكاكى . أوه كلا . انا لا أريد أن ألعب مع اطفال دلتا . لأن أطفال ابسيلون مازالوا سيئين . . انهم اغبيـاء جـدا حتى يستطيعوا تعـلم القـراءة والكتـابة . بالاضـافة الى انهم يرتدون المـلابس السوداء ، وياله من لون قبيح للغاية . أنا فى منتهى السعادة لأننى من فصيلة بيتا » .

وحدثت فترة صمت ، ثم بدا الصوت ثانية :

« أطفال إلفا يرتدون مـلابس رماديـة . انهـ يعملون أكثر مما نقوم به نحن ، لأنهم مهرة جدا . وا حقيقة فى منتهى السعادة ، لأننى من فصيلة بيتـا ولأننى لا أقوم بعمل شاق . بالاضـافة الى انـ أفضل كثيرا من فصيلتى جاما ودلتا . فالجاما أغبياء . يرتدون الملابس الخضراء . واطفال الدلتـا يرتدون الملابس الكاكى . أوه ، كلا . لا أريد اللعب مع أطفال دلتا . كما أن الابسيلون اغبياء .

وخفض المدير درجة الصوت ، فوهن الصوت

الفصـــل الثــالث

دقت الأربعة آلاف ساعة الكهربائية الموجودة فى الأربعة آلاف حجرة ، معلنة الرابعة ، وصـــدر الأمر التالى من خلال مكبرات الصوت :

« انتهت وردية العمل اليوم ، وعلى الورديـة الثانيـة أن تقوم بالعمـل . انتهت ورديـة العمـل اليوم ... » .

خرجت لينينا كراون من معملها المضـاء باضاءة حمراء ، وصعدت الى الدور السابع عشر ، واتجهت يمينا بعد خروجها من المصـعد ، وسارت عبر ممر طويل ، وفتحت بابا عليه لافتة مكتوب عليها « حجرة ملابس البنات » ، واتجهت الى دولاب عليه اسمها ، معلق فيه ملابسها الخارجية . خلعت زى العمل ، وتناولت منشفة وذهبت الى الحمـام . هناك حيث

تم التحميل من
مكتبتي

كانت تتدفق المياه الساخنة من مئات الحمامات . واخذت الفتيات اللاتى انتهين من العمل فى الثرثرة بأعلى أصواتهن . وكانت هنـاك موسيقى عسكريـة بهيجة تصدر من السماعة بصوت عال .

بعد الانتهاء من حمامها ، عـادت الى الدولاب لترتدى ملابسها الخارجية .

قالت لزميلتها التى تقف أمام الدولاب المجاور لها : « هاللو ، فانى » .

وفانى هذه تعمل فى حجرة الزجاجات واسمها الثانى « كراون » أيضـا ، لأنه اذا كان سكان العـالم الذى يبلغ تعداده الفى مليون نسمة وليس لديهم أكثر من عشرة آلاف اسم يتداولونها ، فلا غرابة فى ذلك .

سالتها فانى : « مع من ستخرجين الليلة » ؟

ـ « مع هنرى فوستر » .

ـ « ثانية ؟ » .. وارتسمت على وجه فـانى

ملامح عدم الموافقة . **واكملت :** ((اتقصـــدين ان تقولى لى انك مازلت تخرجين مع هنرى فوستر)) ؟

فاجابت لينينا باحتجاج : ((حسن ، ولعلمك ، انا لم اخرج معه الا منذ أربعة شهور فقط)) .

ــ ((اربعة ، شهور فقط ؟ ياله من شيء غريب ! والأغرب من ذلك)) .. **واصـــلت فانى كلامهـــا وهى تصوب ناحيتها اصبع اتهام :** ((انه لم يوجد بديل آخر طوال تلك المدة . أم كان يوجد ؟)) .

واحمر وجه لينينا وقالت بجسارة : ((انا **لا** ارى حتمية لوجود شخص آخر)) ؟

ــ ((آه ، انهـــا **لا** ترى حتميـــة لوجود شخص آخر)) رددت فانى ذلك ، وكأنها تحـــادث شخصـــا آخر غير مرئى خلف كتفها . ثم فجـــأة **وبنبرة مغايرة قالت :** ((لكننى أعتقد بجدية ، أنه ينبغى عليـــك أن تكونى حريصـــة . فانـــه ســـلوك سيىء جدا أن تستمرى على هذا النحو مع رجل واحد . فى ســـن الأربعين او الخامسة والثلاثين يمكن أن يكون ذلك

مقبولا . لكن واحدة فى مثل سنك ، يا لينينا تفعل ذلك ! كلا ، هذا لا يجوز حقيقة . وانت تعرفين كم يغضب المدير سلوك مثل هذا ، خاصة اذا استمر لفترة طويلة . اربعة شهور مع هنرى فوستر ، ولم تلتقى برجل آخر — لماذا ؟ سيثور المدير جدا لو علم بذلك » .

— « ليس هناك داع لأن تقطعى صلتك به تماما، **واصلت فانى كلامها بنوع من التعاطف :** « لا بأس أن تلتقى برجل آخر من وقت الى آخر ، هذا كل ما فى الأمر فهو يعرف فتيات أخريات ، أليس كذلك ؟

اقرت لينينا بذلك :

— « بالفعل يعرف أخريات . لكن ان تثقى بأن هنرى فوستر هو الرجل المهذب الكامل .. فهذا خطأ على طول الخط . ثم ان هناك المدير الذى ينبغى أن نفكر فيه . فأنت تعرفين كيف يصر على السلوك الصحيح » .

طاطات لينينا رأسها وقالت : « لقد ربت على ظهرى بعد ظهر اليوم .

فقالت فانى بزهو : « ارايت ، اذن ! هذا مثال للسلوك السليم . انه نموذج للسلوك الملتزم تماما بالقواعد المرعية » .

قالت لينينا : « وحقيقة ، فلقد بدأت اشعر بشيء من الملل ، خاصة وليس هناك أحد سوى هنرى كل يوم » . شدت فردة جوربها الأيسر **وسألت فانى بنبرة صوت حاولت الا تظهر فيها اهتماما كبيرا :** « هل تعرفين برنارد ماكس » ؟

فوجئت فانى وانزعجت قليلا : « برنارد ماكس المسئول عن القسم النفسى ؟ هل تقصدين ان تقولى » .. ؟

ـ « ولم لا ؟ فبرنارد من فصيلة ألفا ـ موجب . بالاضافة الى انه طلب ان أذهب معه الى واحدة من معسكرات عزل الهمجيين . ودائما ما كنت أتطلع لرؤية احد هذه المعسكرات » .

ــ « لكن سمعته » !

ــ « وماذا يهمنى من سمعته » ؟

ــ « يقولون انه لا يحب أى نوع من الرياضة ».

ــ « يقولون ، يقولون ! » :. قالت لينينا ذلك بسخرية .

ــ « كما انه يقضى معظم وقته مع نفسه ــ وحده » .

وانتاب وجه فانى شىء من الفزع .

ــ « حسن ؛ لكنه لن يكون وحده عندما يكون معى . وعلى أى حال من الأحوال ، لماذا يتصرف الناس معه بشكل سيىء جدا ؟ فأنا أرى أنه لطيف جدا . وابتسمت لنفسها ، وكم كان خجله لطيفا ! وكم كان مرتعبا أمامها ــ كما لو أنها حاكمة العالم وهو مجرد عامل من فصيلة جاما ــ سالب .

قالت فانى : « لكنه قبيح الشكل جدا » .

ـ « لكنى احب منظره جدا » .

ـ « بالاضافة الى انه ضئيل الحجم » .

وبان الاشمئزاز على وجـه فانى . لأن صغر الحجم كان يعد شيئا مزعجا جدا ويدل على انحطاط مرتبته .

قالت لينينا : « انا ارى انه جميل جدا . واشعر بأننى أود الالتقاء معه كحيوان اليف . انت تعرفين . مثل القطة » .

صدمت فانى وقالت : « يقولون ان أحد العمـال ارتكب خطأ ازاءه وهو ما يزال فى الزجاجة ـ فلقد ظن العامل أنه من فصيلة جاما وبدا فى معالجته بالمستوى الأدنى قبل اكتشاف الخطـأ . وهذا هو السبب فى ان اصبح قصيرا جدا . .

ـ « هذا كلام فارغ ! » .

قالت لينينا ذلك بغضب شديد وأعطت كل منهما

ظهرها للأخرى ، وواصلت فانى ولينينا تغيير ملابسهما فى صمت . **ثم قالت لينينا :**

ـ « هأنذا ، جاهزة ! » .

وظلت فانى صامتة ، ورأسها متجهة بعيدا : « دعينا نتصالح يا عزيزتى فانى . هل شكلى على ما يرام » ؟

كانت سترتها من قماش صناعى ، من ألياف زجاجية خضراء اللون ، ومزين بفراء صناعى عند الياقة واسفل الكمين . وعلى راسها قبعة بيضاء أنيقة تظلل عينيها . ارتدت السترة فوق بنطلون أخضر قصير ، مع جورب أبيض صوفى من الألياف الصناعية يصل تحت ركبتيها . وحذاء أخضر لامع . وحول وسطها حزام أخضر من الجلد الصناعى ، به جيوب مليئة بحبوب منع الحمل التى يمدونهم بها .

ـ « رائعة ! » .. **صاحت فانى بابتهاج** . فهى لا تستطيع أبدا مقاومة سحر لينينا طويلا .

واستطردت : « يا لروعة وحلاوة حزام مالتوزيان (*) هـذا . انا أود الحصول على واحد مثله » .

وأثناء ذلك ، هنـاك بعيدا فى اسـفل ، كانت ضوضاء الماكينات مستمرة ، وارفف الزجاجات تتحرك فوق السيور المتحركة ، ببطء وانتظـام لمسافة ثلاثة وثلاثين سنتيمترا فى الساعة ، تحت ومضـات ذلك الضوء المعتم للمصابيح الحمراء التى لا تحصى .

(★) ثوماس مالثوس : كاتب انجليزى (١٧٦٦ - ١٨٣٤) نشر مقالا عن زيادة السكان .. والمقصود بحزام مالتوزيان هنـا ، انه يحتوى على حبوب منع الحمل .

الفصل الرابع

كان المصعد مزدحما بمجموعة من الرجال القادمين من غرفة تغيير ملابس الألفا ، واستقبلت لينينا بكثير من انحناءات الرؤوس والابتسامات عند دخولها المصعد . فلقد كانت فتاة مشهورة ، بالاضافة الى انها من وقت لآخر ، قضت مع أغلبهم ليلة على الأقل .

وفى ركن المصعد رات برنارد ماكس بجسده الصغير الهزيل ، ووجهه الجاد .

« برنارد ! » وتحركت الى جانبه . « كنت ابحث عنك » .

وكان صوتها مسموعا بوضوح رغم ضجة المصعد . وتطلع الآخرون حولهم فى فضول وواصلت كلامها . « كم احب جدا أن اذهب معك فى شهر

تم التحميل من
مكتبتي

يوليو » . (وكانت تقصد هنا ! ان تعلن للجميع بأنها سـوف توقف علاقتها الحميمة مع هنرى) . **وقالت لينينا بابتسامة دافئة :** « هـذا ، اذا كنت ما تزال ترغب فى » .

واحمر وجه برنارد الشاحب . « لمـاذا ؟ » . . انتابتها الدهشة ، لكنها فى نفس الوقت أسعدها تأثير قوتها الغريبة عليه .

ـ « **أليس من الأفضل** أن نتكلم بخصوص ذلك فى مكان آخر » ؟ قال ذلك بارتبـاك وبدا عليـه الاضطراب الشديد .

فكرت لينينا : « كما لو أننى قلت شيئا مفزعا . لم يكن ليبدو بمثل هـذا الانزعاج لو أننى قلت نكتة قذرة . . أو سألته من هى أمه أو شـيئا من هـذا القبيل » .

قال وقد اكتسى وجهه بالضيق : « أعنى ، انه فى وجود كل هؤلاء الناس . . ! » .

ضحكت لينينا بصوت عال وبمرح صادق وقالت : « كم أنت ظريف ! » وكانت حقيقة وبصدق تعتقد انه يمزح : « سوف تخطرنى قبلها بأسبوع على الأقل ، أليس كذلك ؟ » ثم واصلت كلامها بنبرة مختلفة : « أعتقد اننا سنستقل (صاروخ الباسفيك الأزرق) ؟ هل يقلع من « برج تشارنج تى » ؟ أم من هامبستد ؟

وقبل أن يتمكن برنارد من الرد توقف المصعد .

ـ « السطح ! » صاح عامل المصعد وهو من فصيلة « ابسيلون ـ سالب » بصوته القبيح . ثم فتح الباب .

كان الجو دافئا ومشمسا فى السطح . كان وقت ما بعد الظهيرة الصيفى ، مليئا بصوت طائرات الهليوكوبتر المنتظم العابرة فى سلام ، والآثار المتناهية البعد للطائرات الصاروخية وهى تزيد من سرعتها وتبتعد عن الأنظار ، فى السماء الزرقاء اللامعة على مسافة خمسة أو ستة أميال ، تلك الآثار التى كانت

تتداعى فى الهواء الرقيق ، وكأنهـا منحة الهيـة . سحب برنارد نفسا عميقا . وتطلع الى السـماء ، ثم تطلع حوله ، وأخيرا الى وجه لينينا .

ــ « أليس الجو جميـلا ؟ » . جـاء صـوته مضطربا بعض الشيء .

ابتسمت له بتعبير يفيض بكل معـانى التعاطف وأجابت بحرارة : « مناسـب جدا للعب الجولف . والآن يجب أن أطير ، يا برنارد . فهنرى سوف يتضايق لو اننى تركته ينتظر . أرجو أن تدعنى أعرف تاريخ السفر ، قبلها بوقت مناسب » . ولوحت له بيدها وهى تجرى عبر السطح الفسيح تجـاه مظلة انتظـار الهليوكوبتر . وقف برنارد يراقب ومضـات جوربها الأبيض ، وركبتيها اللتين لوحتهما الشـمس وهمـا تنثنيان وتنفردان ، وحركة البنطلون القصير المحكم عليها ، وفوقه السترة الخضراء ، وهى تجرى بخفـة فوق السطح . واكتسى وجهه بمسحة من الألم .

كان هنرى قـد أخرج طائرته من حظيرتها ،

وعندما وصلت لينينا ، كان قد جلس بالفعل على مقعد القيادة منتظرا .

ـ « تأخرت أربع دقائق » . كان ذلك كل ما قاله عندما صعدت الطائرة وجلست الى جواره . أدار المحركات وجذب ذراع الحركة . فانطلقت الطائرة كالقذيفة فى الهواء . وزاد هنرى السرعة ، فغدا صوت المروحة عاليا وحادا ، وأظهر عداد السرعة انهما يرتفعان بسرعة اثنين كيلو متر فى الدقيقة على الأقل . وبدت لندن أصغر وأصغر من تحتهما . وكذلك العمارات الشاهقة أصبحت خلال ثوان قليلة لاشىء سوى أعمدة بيضاء تنبثق من حديقة خضراء . ووسط هذه الأعمدة كانت قمة « برج تشارنج تى » الاسطوانية تعكس أضواء رصيف هبوط الطائرات تجاه السماء .

وكانت هناك سحب بيضاء ترقد ناعسة فى السماء الزرقاء فوق رأسيهما . وفجأة هبطت حشرة صغيرة حمراء لامعة من على بعد وأخذت تئز وهى تهبط .

قال هنرى : « هذا هو الصاروخ الأحمر ، قادما توا من نيويورك » ثم نظر الى ساعته وقال : « سبع دقائق تأخير عن موعده » وهز رأسه وأضاف : « ان خطوط الأتلانتك ـ تغدو أقل وأقل انضباطا » .

خفض سرعة مروحة الهليوكوبتر فكفت عن الصعود ، ودفع ذراع الحركة الى الأمام . وعندما أخذت الطائرة ما يكفيها من السرعة ، لتنطلق الى الأمام ، أبطل دوران المروحة الدافعة .

طارا فوق العديد من المصانع والمصانع . وفى منطقة ما شاهدا جيشا من العاملين يرتدون الملابس الكاكية والسوداء يقومون برصف الطريق الغربى الكبير . وبدا مصنع التليفزيون فى برنتفورد وكأنه مدينة صغيرة .

قالت لينينا : « لابد انهم يغيرون الوردية . يا لهذا العدد المهول الذى يرتدى الكاكى » . ودون وعى منها أخذت تسترجع دروس التعليم أثناء النوم التى تلقتها فى سنواتها المبكرة . فتيات الجاما وفتيات

الابسيلون الأقل حجما يتجمهرن أمام المدخل ، أو يقفن فى صفوف فى محطات المونوريل . كان سطح المبنى الرئيسى يموج بحركة الهليوكوبتر الصاعدة والهابطة .

قالت لينينا : « بحق كلمتى ، أنا سعيدة لأننى لست من فصيلة جاما » . وبعد عشر دقائق وصلا الى ملعب الجولف ، ولعبا أول جولة .

* * *

أسرع برنارد يعبر السطح بسرعة وعيناه تنظران الى أسفل . وأحس أنه مشتت ووحيد . حتى لينينا جعلته يعانى ، رغم أن مقصدها كان حسنا . تذكر تلك الأسابيع التى عاشها مترددا ، وكان خلالها يتطلع ويرغب وييأس بأن تكون لديه الشجاعة ليسألها . وما أن يجرؤ على القيام بالمخاطرة حتى ينتابه الخجل من أن يقابل بالرفض المشوب بالاحتقار ؟ لكن وقد قالت نعم ، فيالها من سعادة ! لكن رغم انها قالت ذلك . الا أنه مازال بائسا ، لأنها فكرت ظهر هذا اليوم بالذات لتلعب الجولف ، وتحتم عليها أن تسرع

لتقابل هنرى فوستر ، لأنها لابد وقد اكتشفت أنه مضحك لأنه لم يرغب فى الكلام عن شئونهما الخاصة جدا وسط الناس . بائس ، بكل معانى الكلمة ، لأنها تصرفت كما ينبغى لأى فتاة انجليزية فاضلة تتمتع بصحة جيدة ، أن تتصرف ، وليس بأسلوب آخر غريب او شاذ .

فتح باب حظيرة طائرته ونادى على اثنين من العمال من فصيلة « دلتا ـ سالب » ليدفعا طائرته الى السطح . وكان يقوم برعاية حظائر الطائرات رجال من فصيلة بوكانوفسكى ، كان الرجلان متشابهين وصغيرى الحجم لونهما أسود وفى منتهى القبح . والقى برنارد أوامره اليهما بحدة باحساس من هو غير متأكد من نفوذه فقد كان طول برنارد يقل ثمانية سنتيمترات عن الطول العادى لفصيلة الألفا . وعند تعامله مع من هم أقل مرتبة ، كان يتذكر دائما الخطأ الذى ارتكب فى حقه بنوع من الألم ، كان يجعله يتكلم معهم بخشونة زائدة ليست من طبيعته .

صعد الى الطائرة ، ولم تمض دقيقة حتى كان طائرا تجاه الجنوب ، صوب النهر .

كانت أقسام الدعاية المختلفة وكلية هندسة المشاعر والأحاسيس ، تتمركز فى مبنى واحد يتكون من أربعة وستين دورا ، فى شارع فليت . فى الدور الأرضى والدور الأول كانت توجد مطابع ومكاتب ثلاث جرائد لندنية كبيرة ـ « ذى أورلى راديو » وهى جريدة الطبقة العليا ، « الجاما جازيت » بلون أخضر باهت ، ثم جريدة من يلبسون الكاكى وكلماتها من مقطع واحد ، وهى جريدة « ذى دلتا ميرور » . بعد ذلك يأتى قسم الدعاية بواسطة التليفزيون والأصوات الصناعية والموسيقى ـ وهذه تشغل أربعة وعشرين طابقا من المبنى . وفى أعلى معامل الأبحاث وحجرات اختبار الصوت حيث يقوم كتاب الصوت والمؤلفون الموسيقيون بعملهم الرقيق . أما الدور الأخير ، الثمانون فتشغله كلية هندسة المشاعر والأحاسيس .

حط برنارد على سطح مبنى الدعاية ونزل من الطائرة . وامر أحد العمال الجاما قائلا : « اتصل

بالسيد هلمولتز وقل له ان السيد برنارد ماركس ينتظرك على السطح » .

وجلس واشعل سيجارة .

كان « هلمولتز واتسون » يقوم بالكتابة عندما جاءته الرسالة .

ــ « قل له اننى قادم على الفور » ، قال ذلك ووضع السماعة ، ثم التفت الى سكرتيرته **وقال لها :** « سأترك لك مهمة ترتيب الأمور » وواصل كلامه بنفس النبرة الرسمية ، ولم يعر انتباها لابتسامتها المغرية ، ونهض واتجه بسرعة ناحية الباب .

كان رجلا متين البنيان واسع الصدر عريض المنكبين . لكنه خفيف الحركة ، بأسلوب ما كان رجلا وسيما ومرموقا ، كما كانت سكرتيرته تصفه دائما ولا تمل . بأن كل سنتيمتر فيه من طراز « القا ــ الموجب » . أما من حيث المهنة فقد كان محاضرا فى كلية هندسة المشاعر والأحاسيس (قسم

التأليف) وفى وقت راحته من نشاطاته التعليمية كان يعمل مهندسا للمشاعر . كما انه يكتب بانتظام لجريدة « ذى اورلى راديو » ، كما أنه موهوب فى تأليف الشعارات .

كان رأى رؤسائه فيه انه « لديه المقدرة ومحتمل » .. ثم يهزون رؤوسهم ويخفضون أصواتهم ويقولون : قدرته اقل مما ينبغى !

وبالفعل ، كانت قدرته اقل مما ينبغى ـ لقد كانوا على صواب . وبوادر الذكاء الشديد التى كانت لدى هلمولتز واتسون ، تشبه تلك ، التى لدى برنارد ماركس ، نتيجة لقصور نموه الجسمانى الذى كان سببا فى عزلة برنارد عن رفاقه من الرجال . ورغم ان برنارد عانى طوال حياته من هذا الشعور ، فان هلمولتز لم يدرك ذلك الا منذ عهد قريب فقط . كان رياضيا من الدرجة الأولى ، عاشقا لا يعرف الملل ، رجل مجتمعات ممتاز ، مشهورا فى المجتمع ، الا انه لم يتنبه الا فجأة بأن الرياضة والنساء والنشاطات

المهنية والاجتماعيـــة ، ليست كما كان يعتقد ؛ أهم الأشياء فى الحياة . حقيقة ، لقد كان يهتم بشىء آخر داخل أعماق نفســـه . لكن بماذا ؟ تلك هى المشـــكلة التى جاء برنارد ليناقشها معه . فلا بأس طالمـــا أن هلمولتز كان يستحوذ دائمـــا على الكلام كله ان يستمع الى صديقه مناقشا ، مرة على الأقل .

وعندما خرج هلمولتز من المصعد تعلقت بذراعه ثلاث فتيـــات فاتنات من قســـم الدعـــاية بالصـــوت الصـــناعى .

ـ « أوه هلمولتز ، عزيزنا ، نرجـــوك أن تأتى للغداء معنا والنزهة فى اكسمور » وتعلقن فى ذراعـــه باذلات جهدهن لاقناعه .

هز راسه رافضا ، وشق طريقه وسطهن وقال : « لا . لا » .

ـ « نحن لن ندعو اى رجل آخر » .

لكن هلمولتز لم يتأثر حتى بهذا الاغراء البهيج .

وقـال : « لا ، انا مشغول » .. وواصـل سيره بحزم . فتبعته الفتيات . ولم تتوقف مطاردتهن له ، الا حين صعد الى طائرة برنارد واغلق الباب . وجرحت مشاعرهن لرفضه .

وعندما انطلقت الطائرة فى الجو قال : « آه ، من اولئك النسـوة ! آه ، منهن ! » وهز رأسـه فى ضـيق .

ـ « فى منتهى الفظاعة » . تظاهر برنارد بموافقته رغم انه يود فى أعماقـه لو يستطيع أن يحظى بالكثير من الفتيات مثلمـا يفعـل هلمولتز ، ويتعرض لتلك المتاعب الصغيرة . وتملكته حالة مفاجئة وملحة للتباهى **فقال وهو يحـاول المحافظة على نبرة الزهو فى صوته :** « سآخذ لينينا كراون معى الى نيومكسيكو » .

ـ « صحيح ؟ » قالها هلمولتز فى عدم اهتمام على الاطلاق . ومرت باقى الرحلة القصيرة فى صمت . عندما وصـلا ، وجلسا بارتياح فى حجرة برنارد بدأ هلمولتز يتحدث بصوت بطىء .

وســألة : « ألم تشعر ابدا ، كما لو أن شــيئا ما بداخلك وتنتظر الفرصة فقط ، لتمنحه الفرصــة للخروج ؟ نوع من القوى الزائدة ، يمكن ان تستغلها لو عرفت كيف » ؟

ــ « تقصد كل المشاعر التى يمكن أن يشعر بها الانسـان لو أن الأمور كانت مختلفة » ؟

هز هلمولتز رأسه وقال : « ليس بالضبط . انا أفكر فى شعور غريب ينتابنى احيانا . شعور بأن لدى شيئا مهما أود أن أصرح به ، واملك القوة لكى أقوله ــ لكننى فقط لا أعرف ما هو ، ولا استطيع الاستفادة من هذه القوة . لو كانت هنــاك طريقــة أخرى مختلفة للكتابة .. أو اى شىء آخر مختلف أكتب عنه ، فأنا موهوب فى خلق العبــارات ، التى يمكن أن تثيرك ، حتى لو كانت عن موضــوع يعرفه الجميع بالفعل . لا يكفى أن تكون العبارات جيدة ، لكن ما تضفيه عليها ينبغى أن يكون جيدا أيضـا » .

ــ « لكن كتاباتك كلها جيدة ، يا هلمولتز » .

ـ « أوه ، بقدر ما هى عليــه . لكنها تسير فى طريق محــدود ، فهى ليست ذات أهميــة بما فيه الكفاية ، بأى حــال من الأحــوال ، أنا أشــعر أنه بامكانى أن أفعل شيئا أكثر إهميــة . أجل ، وأكثر قوة ، وأكثر عنفا . لكن ما هو ؟ ماذا هنــاك إكثر اهمية يمكن قوله ؟ الكلمات هى اعظم الأسلحة قوة ، أذا استعملتها بشكل مناســب ولســوف تخترق اى شىء . لكن ما فائدة ذلك ، اذا كانت الأشياء التى تكتب عنهــا لا تكمن فيهــا قوة ؟ هل باستطاعتك أن تقول شيئا عن لاشىء ؟ هذه مشكلتى . انا احــاول وأحــاول ...

ـ « هس ! » .. قالها برنارد فجــأة ، وهو يرفــع أصبعــه محــذرا ، **وقــال بهمس** : « انهم يتســمعون ، أنا أشــك أن هنــاك شخصــا وراء البــاب » .

نهض هلمولتز وتحرك بهــدوء عبر الحجــرة ، وبسرعة شديدة فتح الباب على آخره . وبالطبع لم يكن هناك أحد .

ـ « أنا آسف ، » .. قالها برنارد وهو يشعر بالارتباك وبدا عليه الحرج **واستطرد** : « أعتقد انني تركت هذه الأمور تقلقني بعض الشيء . **فعندما** يشك فيك الناس ، فتبدأ أنت أيضا تشك فيهم » .

ومر بيده على عينيه **وتنهد** : « أنت لا تعرف ما لاقيت من متاعب مؤخرا » . قال ذلك والدموع تغالب صوته ، وفجأة اكتسحته موجة من الاشفاق على النفس **وقال** : « انت لا تدرى ما حدث لى . **لا تدرى تماما** » .

وكان هلمولتز واتسون يصغى اليه باحساس معين من عدم الارتياح . **وقال لنفسه** : « يا لبرنارد الصغير المسكين » لكنه فى نفس الوقت احس بالخجل الشديد بالنسبة لصديقه . فقد كان يود أن يظهر ولو قليلا من الكبرياء !

تم التحميل من
مكتبتي

تم التحميل من
مكتبتي

الفصــل الخامس

في الســاعة الثامنة أخذت الأضــواء تنطفيء ، وأعلنت سماعات نادي لعب الجولف بأكثر من صوت بشري انتهاء وقت اللعب . توقفت لينينا وهنري عن اللعب وسارا عائدين الى النادي .

كانت ضجة طائرات الهليوكوبتر التي لا تنتهي تملأ الجو المظلم . وكل دقيقتين ونصف يعلن جرس وصفير صارخ عن رحيل احد قطــارات المونوريل الخفيفة التي تقل عمال الدرجة الأدنى من فصــائل مختلفة عائدين الى المدينة .

صعدت لينينا وهنري الى طائرتهما ، وانطلقــا في الجو . وعلى ارتفاع ثمانمائة قدم خفض هنري من سرعة الطائرة ، وحلقا لحظة او لحظتين فوق المنظر

المتلاشي تحتهم وبدت غابة « برنهام بيتشز » وكأنها بحيرة كبيرة من الظلام مقابل أفق السماء الغربية اللامع . الأفق الأحمر البعيد ، وتلاشى آخر ما تبقى من اشعة الشمس باللون البرتقالى يليها الأصفر والأخضر المائى الشاحب . أما فى الشمال فيما بعد الأشجار ، فكان يوجد مصنع لتصنيع غذاء الأطفال الصناعى ، وبدت الاضاءة الشديدة من خلال نوافذ المبنى المكون من عشرين طابقا . وظهر بينهما مبنى نادى الجولف والبنايات الضخمة لايواء العمال الأدنى مرتبة ، وفى الجانب الآخر من خلال حائط يقسم المكان نصفين ظهرت منازل صغيرة محجوزة لفصيلتى الفا وبيتا .. وكانت الممرات المؤدية الى محطات قطارات المونوريل سوداء بسبب تلك المجموعات الكبيرة من عمال الطبقة الأدنى .. ومن تحت سقف زجاجى . انطلق أحد القطارات المضيئة الى الجو . وأثناء تتبعهم لقطار الفضاء فى الظلام لفت نظرهما بنايات « حرق الجثث » . ولسلامة الطيران الليلى ، فقد أضيئت المداخن باضاءة شديدة ، تومض بعضها باشارات حمراء فى قمتها .

وسألت لينينا مستفسرة : « لمــاذا توجد حول المداخن تلك الأشياء التى تشبه الشرفات المسورة ؟ » .

فشرح لها هنرى قائلا : « لاستعادة الفوسفور من الجو ، فالغازات التى تخرج من المداخن تعــالج فى أربع مراحل . والفوسفور الذى يفقد عادة بسبب حرق جثة أى شخص . يستعيدونه بهــذه الطريقة ويستعيدون أكثر من ٩٨٪ منه . أكثر من كيلو ونصف مقابل كل شخص . وناتج تلك العملية حوالى اربعمائة طن من الفوسفور كل عــام ، من انجلترا وحدها . كان هنرى يتكلم بسعادة وفخر ، وكله ابتهاج بتلك الحقيقة وكأنه المسئول عنها . **ثم قال :** « من الطريف ان نكون مقيدين من الناحيــة الاجتماعية حتى بعد أن نموت ، ونجعل النباتات تنمو » .

كانت لينينا قد تحولت ببصرها أثناء كلامه ، واخذت تنظر تحتها الى محطة المونوريل ، **ووافقتــه قائلة :** « طريف فعلا » ، **ثم قالت :** « لكن أليس من الغريب جدا ان فصيلتى الألفا والبيتا لا يرغبون فى

زراعة المزيد من النباتات ، مكتفين بما يقوم به أولئك الحمقى من فصائل الجاما والدلتا والابسيلون » .

قال هنرى : « كل الناس متساوون من الناحية الجسمية والكيمائية . علاوة على انه . حتى فصيلة الابسيلون تقوم بخدمات قيمة » .

ـ « حتى الابسيلون ... » وفجأة تذكرت لينينا ، مناسبة ما ، عندما كانت وقتها تلميذة فى المدرسة ، فقد استيقظت أثناء الليل ولاحظت لأول مرة ذلك الهمس الذى يذاع طوال الوقت عندما تكون نائمة . ورأت ثانية ، أشعة ضوء القمر ، وصف الأسرة الصغيرة البيضاء وسمعت مرة ثانية ذلك الصوت الرقيق الذى كان يقول (تلك الكلمات لايمكن أن تنسى أبدا ، لأنها رددت مرات عديدة أثناء الليل) . « كل منا يعمل من أجل الآخر . لايمكن أن نحيا دون الآخرين . حتى الابسيلون لهم فائدة . لايمكن ان نحيا دون الآخرين ... » تذكرت لينينا صدمتها الأولى من الخوف والدهشة وشكوكها وتساؤلاتها ، أثناء

تمددها متيقظة لمدة نصف ساعة ، بعد ذلك وتحت تأثير التكرار الذى لا ينتهى ، وهدوء ذهنها التدريجى ، والاطمئنـــان الآمن للنوم ، **وقالت بصـــوت عـــال :** « أعتقد ان الابسيلون لا يهتمون بكونهم ابسيلون » .

ــ « بالطبع لا يهتمون . وكيف يتسنى لهم ذلك؟ فهم لا يعرفون ســوى أن يكونوا كذلك . نحن نهتم بالطبع . لأننا تكيفنا بطريقة مختلفة . بالاضافة الى اننا بدأنا الحياة بطريقة مختلفة » .

فقالت لينينا باعزاز وتقدير : « أنا سعيدة لأننى لست ابسيلون » .

فقـــال هنرى : « لو أنـــك كنت ابســـيلون ، افما كنت تتمنين أن تكونى غير ذلك . لانك تكيفت على ذلك الوضـــع . ولقدمت الشكر على انك لم تكونى من فصيلة « بيتا أو الفا » .

حرك عصا قيـــادة الطائرة الى الأمام واتجـــه صوب لندن . خلفهم فى الغرب ، كانت أشعة الشمس البرتقالية تتلاشى تقريبا . **وانتشرت فى** الســـماء كتلة

من السحب السوداء . وبينما كانا يطيران فوق محرقة الجثث ارتفعت الطائرة فوق أعمدة الهواء الساخن المتصاعد من المداخن ، لتهبط ثانية فجأة عندما مرت داخل تيار هواء بارد .

وضحكت لينينا بسعادة : « يا له من شيء ظريف » !

واكتسى صوت هنرى بنبرة حزينة للحظة وقال : « هل تعرفين سبب ما حدث ؟ لأن أناسا اختفوا نهائيا . صعدوا خلال سحب الغاز . وقد نتساءل بنوع من الفضول من كان ذلك الشخص .. رجلا ام امرأة ، من فصيلة الفا أم من فصيلة ابسيلون » .

اختتم كلامه قائلا : « على أية حال هناك شيء واحد نحن متأكدون منه ، مهما يكن الشخص ، فقد كان سعيداً عندما كان حيا . كل الناس الآن سعداء » .

وأعادت لينينا قوله : « اجل ، كل الناس الآن سعداء » فلقد سمعوا تلك الكلمات مرات

ومرات ، مئات المرات ، وفى أوقات عديدة خلال الليل على مدى اثنى عشر عاما .

كان برنارد يلتحق كل خميسين بحفل التضامن الاجتماعى . وبعد عشاء مبكر مع هلمولتز ودع صديقه واستقل تاكسيا طائرا من على السطح ، وطلب من السائق أن يتجه الى مجمع فوردسون للغناء . ارتفعت الطائرة الى اكثر من مائتى متر ثم توجهت صوب الشرق . وعندما استدارت ظهر امام عينى برنارد المبنى الضخم الجميل لمركز الغناء . يفيض بالأضواء ، ويومض مثل الثلج الأبيض بواجهته التى تبلغ ثلاثمائة وعشرين مترا من الرخام الصناعى ، فوق « تل لدجيت » . ويوجد فى كل ركن من اركانه الأربعة التى تستخدم كمهابط للهيلوكوبتر علامة ضخمة على هيئة حرف T مضاءة باللون الأحمر . وانبعثت من خلال أفواه واسعة لأربع وعشرين آلة ترومبيت ذهبية موسيقى صناعية وقورة .

ـ « على اللعنة لقد تأخرت » قال برنارد

لنفسه عندما وقع بصره على ساعة « بيج هنرى »(*) . وتأكد من ذلك وهو يحاسب التاكسى . فلقد دقت ساعة « بيج هنرى » . وسمع صوتا وقورا صادرا من آلات الترومبيت الذهبية يردد : « فورد ، فورد ، فورد » .. ثمانى مرات ، فأسرع الى المصعد .

كانت القاعة الكبرى المخصصة للاحتفال بيوم فورد ، والأغانى الجماعية الأخرى ، فى الدور الأول من المبنى ، فوقها وبمعدل مائة حجرة للدور ، كانت توجد سبعة آلاف حجرة تستخدم لمجموعات التكافل الاجتماعى للقيام بواجباتها لمدة أربع وعشرين ساعة ، هبط برنارد الى الدور الثالث والثلاثين ، وأسرع عبر الممر ، ووقف مترددا للحظة أمام الحجرة رقم (٣٢١٠) ، ثم قرر وفتح الباب .

شكرا لفورد ! اذ لم يكن الأخير . فما زالت هناك ثلاثة مقاعد من الاثنى عشر مقعدا التى تحيط المائدة

(*) على غرار ساعة « بيج بن » الموجودة على واجهة البرلمان الانجليزى .

لم تشغل بعد . فتسلل الى اقرب كرسي بهدوء على قدر ما يستطيع . والتفتت اليه الفتـــاة التى على يســاره مستفسرة **وقــالت** : « ماذا لعبت بعد ظهر اليوم ؟ الغازا ، ام العابا الكترونية مغناطيسية » ؟

نظر برنارد اليهـــا (أوه فورد ! انهـــا مورجانا روث تشيلد) واعترف وهو يشعر بمنتهى الخجل ؛ أنه لم يلعب أيا من اللعبتين . وحملقت فيه « مورجانا » بدهشة ، وحدث صمت مربك .

ثم التفتت للناحية الأخرى ، ودخلت فى نقـــاش مع جارها الذى كان على يسارها ، وله اهتمـــام أكثر بالرياضـــة .

ــ « بداية طيبة لجلسة التكافل الاجتماعى » . فكر برنارد بيأس . لو أنه أعطى لنفسه فرصــــة فقط ليلقى نظـــرة على المكان بدلا من الجـــلوس على أقرب كرسى ! لكان فى امكانه ان يجلس بين « فيفى برادلو » و « جوانا ديزل » . بدلا من الكرسى الذى زرع نفسه فيه دون تفـــكير ، بجـــوار مورجانا . مورجانا ! اوه

فورد ! وحاجباها السوداوان ـ حاجباها بصفة خاصة ـ لأنهما يلتقيان فوق أنفها . آه فورد ! . على يمينه كانت « كلارا تيبردنج » صحيح ان حاجبي « كلارا » لا يلتقيان . لكنها كانت سمينة جدا . في حين أن « فيفي » و « جوانا » شيقتان . شقراوان، ملامحهما جميلة في غير ضخامة . وها هو الزميل « توم كوجاش » ثقيل الظل يجلس بينهما .

كان آخر من وصل هي « ساروجيني انجلز » .

قال رئيس المجموعة بحدة : « لقد تأخرت ؛ لا داعي لأن يحدث ذلك مرة ثانية » .

اعتذرت ساروجيني وتسللت الى مقعدها بين « جيم بوكانوفسكي » و « هربرت باكونين » . والآن اكتملت حلقة مجموعة التكافل الاجتماعي . رجل ، وامرأة ، رجل ، وامرأة ، في حلقة متصلة حول المائدة . والمطلوب من الاثنى عشر فردا ، أن يصبحوا فردا واحدا ، بأن يتواصلوا ، يذوبوا في بعضهم ،

ويكونوا على استعداد لأن يتخلوا عن ذواتهم الاثنى عشر المتنافرة ، ويصبحوا كائنا واحدا ..

وقف رئيس الجلسة ورسم علامة حرف T ، وادار جهاز الموسيقى الصناعية ، فتدفقت أرق وأعذب ايقاعات للطبول ، واحلى الأنغام للآلات ، التى أخذت تردد باختصار لحنا مألوفا من الترنيمة الأولى للتضامن . وهكذا ، وهكذا . أخذ اللحن ، يتفاعل ويستحوذ ، ليس على الأذن ، ولا على العقل فقط ، انما يستحوذ على القلب ، والروح .

ورسم رئيس الجلسة علامة حرف T وجلس . لقد بدأت الجلسة . وكانت حبوب « السوما » (*) المباركة موضوعة فى وسط مائدة العشاء . وتم تمرير كأس آيس كريم التوت « بالسوما » ، من يد الى يد مع الجملة المعهودة (سأشرب حتى ارتوى) ، إثنى عشر مرة ، وبمصاحبة

(★) حبوب السوما ـ حبوب مخدرة .

الأوركسترا الصناعى . غنيت الترنيمة الأولى للتضامن .

فورد ، نحن اثنا عشر ، فلتجعلنا واحدا ..

مثل القطرات فى نهر الحياة ..

أوه ، فلتجعلنا الآن نجرى سويا ..

نجفة السيارة العتيقة ..

اثنا عشر بيتا من الشعر ، مليئة بنفس المشاعر العميقة ، ثم مررت الكأس المفضلة للمرة الثانية .. وشرب الجميع .. والموسيقى تعزف بلا كلل . والطبول تدق ، وغنوا ترنيمة التكافل الثانية .

تعالوا جميعا ولنكن أصدقاء ..

نمحو الاثنى عشر فردا ليكونوا واحدا !

لن نلبث أن نموت ، وعندما ننتهى ..

لن تلبث حياتنا الأكبر فى البدء .

اثنا عشر بيتا مرة أخرى . لكن هـذه المرة ، كان مفعول السوما قد بدأ يعمل . فلمعت العيون ، وتوهجت الخدود ، وانفجرت الضحكات المرحة الأخوية وبدت على كل الوجوه . حتى برنارد شعر بشيء من السعادة . وعندما التفتت اليه « مورجانا روث تشيلد » وابتسمت له ، حاول جهده أن يبتسم لها . لكن .. حاجباها . حاجباها السوداوان ـ اثنان فى واحد ـ مازالا موجودين . للأسف ، ومهما حاول ، لم يستطع الاحساس بأنه انجذب الى مورجانا .

ومرت الكأس المفضلة عبر المائدة . ورفع رئيس الجلسة يده ، وأعطى اشارة . فبدأت المجموعة فى انشاد الترنيمة الثالثة للتضامن . واثناء القاء الأبيات كانت أصواتهم ترتعش بسبب اضطرابهم ، ورفع رئيس الجلسة يده الى أعلى ، وفجأة سمع صوت من فوق رؤوسهم ، صوت قوى عميق ، صوت به موسيقية أكثر من كونه مجرد صوت بشرى ، ثرى ، دافىء ملىء بالحب . وبدأ يغنى ببطء

« أوه ، فورد ، فورد ، فورد » ، وبطبقة صوتية هادئة خافتة ، فى كل مرة يردد فيها الاسم . وغمر السامعين احساس جياش ، فبدأت الدموع تتساقط من أعينهم .

وفجأة صاح الصوت عاليا : » اصغوا ! » . فأصغى الجميع . وبعد فترة صمت انطلق الصوت ثانية ، لكن فى همس .. كان مؤثرا أكثر من الصوت العالى . « خطوات الكائن الأعظم » وردد الكلمات ثانية ، « خطوات الكائن الأعظم » . وتلاشى الهمس . « خطوات الكائن الأعظم على السلم » . وحل الصمت مرة اخرى . وزاد اضطراب المجموعة الى الحد الذى لايمكن السيطرة عليه . أوه ـ انهم يسمعون خطوات الكائن الأعظم . يسمعونها آتية ببطء السلم ، فتقترب وتقترب على السلم غير المرئى . وفجأة حلت اللحظة الحاسمة . فلقد هبت « مورجانا روث تشيلد » واقفة على قدميها ، وعيناها جاحظتان وشفتاها منفرجتان .

وصاحت : « اننى أسمعه ، انى اسمعه » !

وصرخت ساروجينى انجلز : « نعم ، انه قادم » !

ووقفت « فيفى برادلو » و « توم كواجوش » وصاحا : « نعم ، انه قادم ، نحن سمعناه » .

وصاحت « جوانا » ، « أوه ، أوه ، أوه » .

وصرخ جيم بوكانوفسكى : « انه قادم » .

ومال رئيس الجلسة الى الأمام وبلمسة من يده ، انطلق صوت ترومبيت نحاسية محمومة ، وهدير طبول .

ــ « أوه ، انه قادم ! » صرخت « كلارا ديتردنج » حتى يخيل أن أحبالها الصوتية قد قطعت.

واحس برنارد بأن الوقت قد حان ليفعل شيئا ، فقفز هو الآخر وصاح : « أنا أسمعه ، انه قادم » . لكن ذلك لم يكن صحيحا . فهو لم يسمع شيئا . كما انه على يقين بأن احدا لن يأتى . لا احد ــ رغم تلك

الموسيقى ، ورغم ذلك الاضطراب والاثارة المتنامية . . لكنه لوح بذراعيه ، وصاح عاليا مثل أى واحد فيهم ، وعندما بدأ الآخرون فى دق اقدامهم وتحركوا الى الأمام ، دق هو الآخر قدميه وبدأ يتحرك .

وبداوا يدورون فى حلقة راقصة ، وكل منهم يضع يديه على خلفية الراقص امامه ، يدورون ، ويدورون ، يصيحون معا ، يدقون الأرض بأقدامهم مع ايقاع الموسيقى ، وفى نفس الوقت تضرب كل يد الخلفية التى امامها ، اثنا عشر زوجا من الأيدى تضرب وكأنها يد واحدة . بحيث نسمع صوت الصفعات على الخلفيات الاثنى عشر كصفعة واحدة . اثنا عشر مثل واحد ، اثنى عشر مثل واحد : « انا اسمعه أنا اسمعه قادما » وتغدو الموسيقى أسرع ، ودقات الأقدام ، والأيدى التى تضرب الخلفيات التى أمامها . وعلى حين فجأة يسمع صوت صناعى مؤثر يغنى كلمات يعلن فيها نهاية حفل التضامن ، وان الاثنى عشر اصبحوا واحدا ، وعودتهم الى حضن الكائن الأعظم .

وبينما كانت الطبول تدق بعنف ، أذيعت أغنية « أورجى بورجى » .

« اورجى ـ بورجى ـ فورد والمرح ..

الأولاد مع الفتيات فى سلام ..

أورجى ـ بورجى حبنا الرحة .

وبدأ الراقصون يغنون الأغنية المقدسة « أورجى ـ بورجى » فورد والمرح .. وبينما كانوا يغنون بدأت الأضواء تتلاشى ببطء .. وفى نفس الوقت تغدو أكثر دفئا ، وثراء ، واحمرارا ، حتى وصل الأمر الى أن يرقصوا وكأنهم داخل مخزن للأجنة باضاءته الحمراء بلون الدم . وظل الراقصون لفترة يدورون ويدقون الأرض بأقدامهم فى عدم تطابق للأغنية . « أورجى ـ بورجى ... » ثم وهنت الدائرة ، وتفسخت ، وارتموا على المقاعد التى تحيط المائدة ، والاثنى عشر كرسيا التى خارج اطار الدائرة وغنى الصوت العميق برقة ونعومة أغنية « أورجى ـ بورجى .. » .

كانوا يقفون على السطح . وقد أعلنت « بيج هنرى » السابعة . كان الليل هادئا ودافئا .

قالت « فيفى براندلو » : « الم يكن رائعا ؟ ألم يكن فى منتهى الروعة » ؟

ثم نظرت الى برنارد بعينين لامعتين ، كلها سعادة ، وفى منتهى الرضا ، والاطمئنان مع العالم بأكمله .

ــ « نعم ، اعتقد انه كان رائعا » ، قال برنارد ذلك كذبا ، وتطلع بعيدا . فقد كان لمنظر وجه « فيفى » الذى يفيض سعادة أثر كبير فى الشعور بعزلته بشكل شديد . كان فى منتهى البؤس فى تلك اللحظة ، مثلما كان حاله عندما بدأ الاحتفال ــ بل اكثر احساسا بالعزلة بسبب عدم ارضاء رغبته ازاء شىء لايستطيع حتى ان يصفه لنفسه . وحيد وتعس ، بينما الآخرون متوحدون مع الكائن الأعظم ، وحيد حتى لو كان بين ذراعى « مورجانا » .. بل اكثر وحدة .. واكثر يأسا

من أى وقت مر به فى حياته . لقد خرج من ذلك الوهج **الأحمر** الدموى ، الى الجو العام ، حيث ضـوء المصابيح الباردة ، بشعور باليأس . كان تعسا تماما وربما (كانت عيناها اللامعتان تتهمانه) **وردد قائـلا :** « فى منتهى الروعة » .. وكان الشىء الوحيـد الذى يفكر فيه ، هو « حاجبى مورجانا » .

تم التحميل من مكتبتي

حصري التحميل من مكتبتي

الفصــل السادس

غريب ، غريب ، غريب .. كان هــذا راى لينينا فى برنارد ماركس . حقيقــة انه شــخص فى منتهى الغرابة ، لدرجة أنها خلال الأسابيع التالية ، تحيرت أكثر من مرة عما اذا كانت تغير رايها بخصوص قضاء اجازتها فى « نيو مكسيكو » وتذهب بدلا من ذلك الى « القطب الشمالى » مع شخص آخر . لقد كانت هناك فى الصيف المـاضى ، بالاضافة الى أنها لم تكن مريحة بشكل كاف . فلاشىء تفعله هناك ، كما أن الفندق من الطراز القديم المتعب ، فلا يوجد أى جهاز تليفزيون بأى حجرة من حجراته . كلا ، لايمكن أن تذهب الى القطب الشمالى مرة ثانيــة . لقد زارت امريكا مرة واحدة من قبل ، وكانت الى نيويورك فى رحــلة نهاية الأسبوع مع رجل نسيت اسمه . أما فكرة الطيران الى الغرب ولمدة أسبوع كامل ، فقد كانت مغرية جدا .

خاصة ، انهما سيقضيان ثلاثة أيام من هـذا الأسبوع في زيارة معسكر حجز الهمجيين ، الذى لم يزره سوى نصف دستة من الناس من كل العاملين فى المركز . وباعتبار برنارد من فصيلة « الألفا + سيكولوجست » ، فقد كان من القلائل كما نعرف ، الذين يسمح لهم رسميا بالذهاب الى هنـاك . كان ذلك بالنسبة للينينا فرصة حياتهـا ، لكن الذى جعلهـا تتردد فى القيام ، هو أن برنارد شخص غريب جدا .

وقد ناقشت هذا الموضـوع باهتمام ذات ليلة مع هنرى . **فقال هنرى** : « أوه ، برنارد المسكين لا ضرر منه . فبعض الناس ربما لم يتعلموا أبدا ما هو السلوك الصحيح . وبرنارد واحد منهم . ومن حسن حظـه ، انه متميز فى وظيفتـه ، والا لمـا كان المدير احتفظ به . لكنه غير مضر ، ويمكنك التأكد من ذلك .

لا ضرر منه ، ربما ، لكنه مزعج جدا . فهو على سبيل المثال يود ان يفعل الأشياء فى خصوصية ، وهذه نزعه غير صحية . وهـذا يعنى ، من الناحية العملية

الا تفعل شيئا على الاطلاق . وما الذى يستدعى ان يقوم الإنسان بفعل الأشياء فى خصوصية ؟ (بغض النظر عن الذهاب الى الفراش ، لكن الانسان لايستطيع ان يفعل ذلك بصفة مستمرة) نعم ، ماذا هناك يستدعى ذلك ؟ فى اول لقاء لهما بعد الظهر سارت الأمور على ما يرام . واقترحت لينينا ان تستحم فى بلاج مزدحم . بعدها يتناولان العشاء فى المطعم الجديد الذى يؤمه الجميع . لكن برنارد لم يوافق بحجة أن المكان مزدحم . اذن ما رايك فى جولة فى جولف الحواجز ؟ وكان رد برنارد أنه مضيعة للوقت .

وسالت لينينا بنوع من الدهشة : « اذن لماذا خلق الوقت » .

ـ « من الواضح أنه خلق للتمشى فى الريف ، وحدى معك ، يا لينينا » .

ـ « لكننا يا برنارد ، سنكون وحدنا طوال الليل » .

احمر وجه برنارد واشــاح بوجهه ، ثم قــال :
« اعنى وحدنا ، لكى نتحدث » .

ـ « نتحــدث ؟ نتحــدث فى مــاذا ؟ » نتمشى ونتحدث .. هذا اسلوب غريب جدا لقضــاء فترة ما بعد الظهر .

فى النهاية أقنعته على غير رغبة منه ، بالطيران الى امستردام لمشــاهدة مباراة كره القدم النسائية النهائية على الكأس .

وقال متبرما : « فى الزحام ، كالعادة » . وظل طوال فترة ما بعد الظهر صامتا ، لا يرغب فى التحدث مع أصدقاء لينينا (الذين قابلت العشرات منهم فى بار آيس كريم ســوما خلال فترة استراحة المبــاراة) ، وبالرغم من حالة الابتئاس التى كان عليها فقد رفض باصرار آيس كريم الشيكولاتة بالسوما الذى اشترته له ، **وقــال :** « أود أن أكــون نفسى . مبتئس لكن نفسى .. وليس شخصا آخر مبتهج بأي حــال من الأحــوال » .

فى طريق عودتهما فوق القنال ، أصر برنارد على ايقاف محركات الدفـع الأماميـة للهليوكوبتر وترك الطائرة تحوم على بعد مائة قدم فوق الامواج . وتحول الجو الى أسوأ . فقد اندفعت ريح غريبـة جنوبية ، وتلبدت السماء بالغيوم . **وقال فجأة :**

ـ « انظرى » .

ـ « لكن ذلك فظيـع » ، قالت لينينـا ذلك وأدارت وجهها بعيدا عن النافذة . كانت مرتعبة من اندفاع الليل البهيم ، والأمواج المتلاطمـة بلا نهايـة تحتهم ، ووجه القمر الشاحب بين السحب المتسابقة .

ـ « دعنا نستمع الى الراديو ، بسرعة » ومدت يدها الى المفتـاح وأدارته . وانطلق ستة عشر صوتا فى منتهى الحلاوة « ... زرقاء هى السـماء بداخلك ، دائما ما يكون الجو » ...

ثم سمعت صوت تكة وعم السكون . لقد اغلق برنارد الراديو .

وقــال : « أود أن أتطلع الى البحر فى هدوء . لايمكن أن أتأمله مع كل تلك الضوضـــاء المنبعثــة من الراديو » .

ـ « لكنها أغنية جميلة . وأنا لا أريد التطلع الى البحر .

فأجاب : « لكننى أريد ، ان ذلك يجعلنى أشعر كما لو اننى ... » وتردد بحثا عن الكلمــات التى يعبر بها عن نفسه : « كما لو اننى اكون نفسى اكثر ، اذا كنت ادركت ما اقصد . اكون نفسى انا ، وليس جزءا من شىء آخر . الا يجعلك ذلك تشعرين على هذا النحو ، يا لينينا » ؟

لكن لينينا كانت تبكى : « شىء فظيع ، فظيع » وظلت تردد ذلك . « ورغم ذلك ، فنحن جزء من شىء آخر . كل انسـان يعمل من اجل الآخرين . لا نستطيع ان نحيا دون الآخرين . حتى الابسيلون ... » .

فأجاب برنارد بمرارة : « أجل ، أعرف ، حتى

الابسيلون لهم فائدة ! وكذلك انا . فلتحل بى اللعنة لو كنت ارغب فى غير ذلك ! » .

صدمت لينينا بهذه الكلمـات . **وقالت وعيناها مليئتان بالدموع** : : « برنارد ! كيف يتسنى لك أن تفكر فى مثل هذه الأشياء » ؟

ـ « كيف يتسنى لى ؟ » .. رددها وهو غارق فى التفكير .. « كلا . المشكلة الحقيقية تكمن فى : كيف لا افــكر ـ او بالأحــرى ـ لاننى اعــلم تماما لمــاذا لا استطيع ـ وماذا يكون عليه الوضع لو استطعت ، لو اننى كنت حرا ـ ولست عبدا لظروفى » ؟

ـ « لكنك ، يا برنارد ، تقول أشــياء مخيفــة جــدا » ؟

ـ « الا تودين أن تكونى حرة ، يا لينينا » ؟

ـ « أنا لا أعرف ما ترمى اليه . أنا حرة . حرة فى استغلال وقتى كيفما أشاء . كل الناس ســعداء هذه الأيام » .

فضحك وقــال : ((**أجل ،** (كل الناس سعداء هذه **الأيام**) فنحن نبدأ فى اعطــاء ذلك للأطفال فى سن الخامسة . لكن الا ترغبين فى ممارســة حريتك بطريقة اخرى ، يا لينينا ؟ . بطريقتك الخاصــة ، على سبيل المثال ، وليس بطريقة كل انسان آخر » .

فاجابت : « انا لا اعرف ما ترمى اليه » .

ثم التفتت اليه **وقالت له برجاء :** « أوه ، دعنا نعد ، يا برنارد . فأنا اكره المكان هنا » .

ــ « الا تحبين أن تكونى معى ؟ » .

ــ « أجل ، بالطبــع ، يا برنارد ! لكن هــذا المكان مريع » .

ــ « كنت اظن اننا قــد نكون اكثر .. اكثر اقترابا من بعضا هنا .. حيث لاشىء ســوى البحر والقمر . اكثر قربا من أن نكون فى مكان مزدحــم ، او حتى فى حجرتى ، الا تدركين ذلك » .

فقالت بحزم : « انا لا ادرك اى شىء ، لمــاذا

لا تتناول حبوب السوما على أقل تقدير ، عندما تنتابك مثل هذه الأفكار المخيفة . فتنسى كل شيء بخصوص ذلك . وبدلا من الاحساس بالبؤس ، سينتابك الاحساس بالبهجة » .

تطلع اليها فى صمت . **وقال فى صوت واهن مجهد** : « لا بأس اذن ، سوف نعود » ودفع الطائرة بحدة الى أعلى السماء ، ثم جذب ذراع التسيير الى الأمام . وطارا فى صمت لدقيقة أو دقيقتين . ثم فجأة بدأ برنارد يضحك . واعتبرت لينينا ذلك شيئا فى منتهى الغرابة ، رغم أنه لم يكن سوى ضحك .

سألته فى رقة : « أتشعر بتحسن » ؟

وردا على سؤالها رفع احدى ذراعيه من فوق عصا القيادة ولفها حول وسطها .

فقالت لنفسها : « شكرا ، لفورد ، لقد عاد لحالته الطبيعية مرة أخرى » .

بعد مضى نصف ساعة كانا فى حجرته . وابتلع برنارد اربعة اقراص من السوما ، وفتح الراديو والتليفزيون .

سألته لينينا بابتسامة عندما تقابلا بعد ظهر اليوم التالى فوق السطح : « هاى ، ما رأيك فى الأمس ، الم يكن ظريفا ؟ » . هز برنارد راسه . وصعدا الى الطائرة ، وانطلقا .

وسألته قائلة :

ـ « أترى اننى متميزة ؟ » .

هز رأسه وقال : « فى كل شىء ؟ » .

ثم قال بصوت مرتفع : « متميزة جدا » .. **وقال لنفسه :** « انها تفكر فى نفسها فقط » .

ابتسمت لينينا برضا . لكن سرعان ما بدا على وجهها نوع من خيبة الأمل .

ـ ثم واصل كلامه بعد فترة صمت وقال : « على اية حال كنت اتمنى أن ينتهى لقاء امس نهاية مختلفة » .

وبدا يتكلم كثيرا عن الهراء الخطير الذى لم تستطع أن تفهمه . **وقال** : « أنا اريد أن ادرك معنى العاطفة ، اريد أن أشعر بشىء اقوى . نحن جميعا نتمتع بذكاء كبير فيما يختص بعملنا ، لكننا أطفال من حيث المشاعر والرغبات ، وهذا مهم » .

ــ « لكن فورد يحب الأطفال » .

وواصل برنارد كما لو انها لم تنطق . « لقد انتابنى فجأة بالأمس احساس بأنه من الممكن أن اتصرف كانسان راشد طول الوقت » .

ــ « أنا لا أفهم » .. قالت لينينا ذلك بنبرة حاسمة .

ــ « اعرف انك لا تفهمين . وهذا هو السبب الذى جعلنا نقضى الوقت سويا يوم امس ــ كالأطفال ــ بدلا من ان نكون ناضجين وننتظر » .

ــ « لكن الأمر كان رائعا ، أليس كذلك » ؟ قالت لينينا باصرار .

ـ « أوه ، فى منتهى الروعة » . اجاب عليها بصوت حزين جدا ، ونبرة ملؤها الأسى الشديد . لدرجة ان احساس لينينا بالزهو تلاشى فجأة . فربما اكتشف أنها سمينة جدا بعد كل ما حدث .

* * *

كان كل ما قالته فانى عندما حكت لها لينينا كل ذلك : « لقد قلت لك من قبل ، ان أحد العمال قد ارتكب خطأ عندما كان برنارد جنينا فى الزجاجة » .

قالت لينينا باصرار : « على أية حال ، فأنا معجبة به حقا ، فيداه رائعتان للغاية . والطريقة التى يحرك بها كتفيه جذابة جدا ، وتنهدت . « لكن كم كنت أتمنى ألا يكون غريبا الى هذا الحد » .

* * *

توقف برنارد أمام باب حجرة المدير للحظة . وسحب نفسا عميقا وتهيأ لمواجهة الرفض وعدم الترحيب الذى سيجده بالتأكيد فى الداخل .

ـ « ارجو ان توقع يا سيادة المدير » قال ذلك

بمنتهى الهدوء على قدر ما يستطيع وهو يضع الطلب على المكتب .

وتطلع اليه المدير شزرا . لكن لما كان ختم مكتب الحاكم العام موجودا بأعلى الطلب وكذلك امضاء الحاكم العام ، « مصطفى موند » واضحا بلون أسود في أسفل الطلب ، لم يجد المدير بدا من الموافقة . خاصة وان كل شيء مضبوط .

وكتب تعليقه تحت التوقيع بالقلم ، ولفت نظره، وهو على وشك اعادة الطلب دون تعليق ، شيء ، مكتوب في الطلب .

فقال وهو ينظر الى برنارد بنوع من الدهشة :
« بتصريح لزيارة معسكر عزل نيو مكسيكو » ؟

فهز برنارد رأسه مندهشا لدهشته ، وحدث صمت .

اضطجع المدير الى الوراء في كرسيه ، وهو غارق في الأفكار . « منذ متى كان ذلك ؟ » قال ذلك لنفسه

أكثر منه الى برنارد .. منذ عشرين عاما على ما أعتقد . بل منذ خمسة وعشرين عاما تقريبا . كنت فى سنك تقريبا .. » تنهد وهز رأسه .

أحس برنارد بعدم راحة متناهية . وتساءل عما يمكن أن يقوله المدير بعد ذلك .

ـ « كانت لدى نفس الفكرة مثلك » واصل المدير كلامه . « كنت أرغب فى القاء نظرة على الهمجيين . حصلت على تصريح لنيو مكسيكو ، وذهبت الى هناك خلال اجازتى الصيفية مع فتاة كانت برفقتى فى تلك الآونة ، كانت من فصيلة « بيتا ، سالب » على ما أظن » (وأغلق عينيه) كان شعرها أصفر .. اذكر ذلك . حسن ، وذهبنا الى هناك ، وألقينا نظرة على الهمجيين ، وركبنا الخيول وما الى ذلك بعد ذلك ، وكان آخر يوم فى اجازتى تقريبا .. حدث أن تاهت منى . فلقد ذهبنا لنتسلق واحدا من تلك الجبال الفظيعة ، وكان الجو حارا جدا ، ولاتوجد نسمة هواء ، وبعد الغداء ذهبنا للنوم . أو بالأحرى نمت أنا . ويبدو أنها خرجت للتمشى ، وحدها .

ذلك انني عندما استيقظت لم تكن موجودة . وهبت عاصفة رعدية مخيفة لم ار مثيلا لها فى حياتى . وهطلت الأمطار سيولا وابرقت السماء وارعدت . وفزعت الخيول وفرت هاربة . وسقطت وأنا أحاول الامساك بها ، وجرحت ركبتى ، وكنت أمشى بصعوبة . وظللت أبحث عنها وأنادى وابحث . لكن لم يوجد لها اى أثر . فاعتقدت انها ربما تكون قد عادت الى الاستراحة وحدها . وهكذا زحفت عبر الوادى فى نفس الطريق الذى جئنا منه . كانت ركبتى تؤلمنى جدا ، كما اننى فقدت حبوب السوما ، واستغرق منى ذلك عدة ساعات ، ولم أصل الى الاستراحة الا بعد منتصف الليل . ولم تكن موجودة ، لم تكن موجودة » كرر المدير ذلك . ثم حدث صمت .. ثم واصل كلامه أخيرا **وقال** : « فى اليوم التالى جرت عملية بحث . لكننا لم نعثر عليها .. لابد أنها سقطت فى شق صخرى : فى مكان ما ، أو افترسها أسد جبلى . فورد هو الذى يعلم . كان الوضع فظيعا بأى حال من الأحوال . وكدرنى كثيرا جدا فى ذلك الوقت . اكثر من أى شىء آخر حدث » .

ـ « كان لابد أن تصاب بصـدمة شديدة » ، قال برنارد ذلك بنوع من الحسد .

وعندما سمع المدير ذلك نظر بحـدة الى برنارد وناوله التصريح . فغضب من نفسه لأنه حكى له تلك الحادثة القديمة فى حياته ، وصب جـام غضبه على برنارد . فكانت نظرته فى تلك اللحظـة تنم عن غضب شديد **وواصل كلامه قائلا :** « أحب أن أنتهز هـذه الفرصة يا سيد ماركس ، لأحيطك علما بأننى لسـت راضيا تماما عن تقارير سـلوكك خارج العمل ، قد تقول ان هذا ليس من شأنى ، لكنه كذلك . اذ ينبغى على أن أحافظ على السمعة الطيبة للمركز ، كمـا تعلم . فلابد أن يكون موظفى فوق مستوى الشبهات ، خاصة ذو المستويات العليا . ولذا يا سيد ماركس فأنا اود ان الفت نظرك . واذا حدث ووصلتنى أى شكوى مرة ثانيـة عن أى انحراف أو كسر لقواعد السـلوك الاجتماعى ، فسوف أطلب نقلك الى مركز اقليمى ، ربمـا فى أيسلندا . « مع السـلامة » واشـاح عنه بوجهه ، والتقط قلمه وبدأ يكتب .

ـ « سيكون ذلك درسا له » ، قال المدير لنفسه. لكنه كان مخطئا . لأن برنارد قد ترك الحجرة وكله احساس بالابتهاج لأنه يقف وحده ضد كل التعليمات الاجتماعية ، وباحساس بأهمية تفرده ، ولم يكن خائفا على الاطلاق من تهديدات المدير . وشعر بأنه قوى بما فيه الكفاية لمواجهة اى معاملة خشنة ، أو حتى الذهاب الى أيسلندا .

وكان على يقين بأنه بأى حال من الأحوال لن يكون مضطرا لمواجهة اى شيء على الاطلاق . فالناس لم تتأثر بأشياء مثل هذه فأيسلندا لم تكن اكثر من تهديد . وأثناء سيره فى الردهة كان يصفر .

* * *

كانت الرحلة هادئة تماما . ووصل صاروخ الباسفيك الأزرق قبل ميعاده بدقيقتين ونصف الى نيو أورليانز ، وكان قد تعرض لعاصفة فوق تكساس ضيعت دقيقتين ، لكنه انطلق بعد ذلك فى جو صاف ، واستطاع ان يهبط فى « سانتا فى » بأقل من اربعين ثانية بعد الوقت المحدد .

وقالت لينينا : « ست ساعات ونصف واربعون ثانية ، طيران . لا بأس » .

وقضيا تلك الليلة فى « سانتا فى » . ووجدت لينينا كل ما ترغبه من وسائل الراحة .

وحذرها برنارد قائلا : « لن يكون هناك اشياء مثل هذه فى المعسكر ، لا تليفزيون ، ولا حتى ماء ساخن . لا ينبغى ان يذهب الى هناك الا من يرغب حقيقة فى ذلك » .

ــ « لكننى أود الذهاب فعلا » .

ــ « اذن ، اتفقنا » .

كان التصريح يتطلب توقيع المشرف على منطقة العزل ، الأمر الذى يتطلب ذهابهما الى مكتبه صباح اليوم التالى . كان مليئا بمعلومات لا فائدة منها ، وارشادات بديهية لا تحتاج لسؤال . وما ان بدأ المشرف الكلام حتى واصل بنفس الصوت العالى الممل :

« ... خمسة آلاف ، وخمسمائة كيلو متر مربع ، مقسمة الى أربع مناطق ، بمثابة معسكرات صغيرة ، كل معسكر محاط بسور مكهرب . ليس هناك مجال للهرب ، فالذين يولدون فى المعسكر — وتذكرى يا سيدتى ، أن أطفال هذه المعسكرات « يولدون » ، نعم ، حقيقة يولدون ، وربما يبدو ذلك مقززا — هؤلاء يقضون حياتهم كلها هناك ويموتون هناك . يوجد حوالى ستة آلاف هندى ، ومهجنون .. وهمجيون تماما .. ، ومفتشونا يزورون المنطقة من حين لآخر .. والا ، فلن يكون هناك اى تواصل مع العالم المتمدين .. ما زالوا يحتفظون بعاداتهم وتقاليدهم المخجلة .. الزواج ، اذا كنت تعرفين معنى الزواج ، يا سيدتى ، العائلات .. لا يوجد اى نوع من انواع التكيف .. خرافات فظيعة .. ومعتقدات مثل ذلك .. لغات ميتة مثل الاسبانية .. حيوانات مفترسة متوحشة .. أمراض معدية .. افاع سامة » .

واخيرا خرجنا . ووصلتهما رسالة على الفندق

بناء على تعليمات المشرف ، تفيد بأن احد حراس المعسكر قد جاء بطائرته وفى انتظارهما على السطح .

احتلا مقعديهما فى الطائرة وانطلقت . بعد مضى عشر دقائق كانا يعبران الحدود الفاصلة بين الجزء المتمدين والجزء الهمجى . كان السور المحيط بالمنطقة يمر على قمم تلال وسفوحها وعبر صحراوات مالحة ورملية وخلال غابات ، وأودية عميقة ، وسهول متسعة وقمم جبال عالية . وعند أسفل السور ، كانت هناك هياكل من العظام البيضاء ، ملقاة على الأرض حيث اقترب جدا حيوان مفترس من الأسوار المميتة .

ـ « لن يتعلموا أبدا » . قال الطيار ذلك وهو يشير الى الهيكل العظمى تحتهم « ولن يتعلموا أبدا » اعادها ثانية ، وضحك كما لو كانت نكتة .

كان برنارد قد تناول جرامين من السوما ، واستغرق فى النوم ، واستيقظ اخيرا ليجد الطائرة رابضة على الأرض ، ولينينا تحمل حقائبها الى منزل

صغير مربع ، والطيار يتحدث بلغة ما مع هندى ، ولم يستطع أن يفهم اى شىء .

وقال الطيار : « وهذه هى الاستراحة . سيقام بعد ظهر اليوم حفل راقص فى القرية . وهو سيصحبكم (وأشار الى شاب همجى ، بدا عنيدا) ستكون حفلة طريفة ، أتوقع ذلك . كل شىء يفعلونه طريف جدا » . بهذه الكلمات صعد الى طائرته وبدأ ادارة المحرك ، **وقال :** « الى اللقاء غدا . وتذكرى انهم هنا فى منتهى الوداعة . لن يسبب لك الهمجيون اى ضرر ، فهم على دراية تامة بما تفعله قنابل الغاز . اذا ما حاولوا القيام بأى نوع من الغدر » . وأدار عصا القيادة وانطلق فى الجو واختفى .

تم التحميل من مكتبتي

الفصـــل الســـابع

منطقة صخرية مرتفعة مسطحة تطل على سهل ترابى اصفر ، تقع وسط واد تحوطه حقول خضراء ، يتخللها نهر يجرى بين شـــاطئين عاليين منحدرين . فوق قمة هذه المنطقة الصخرية توجد قرية « مالبيز » الهندية ، وبدت البيوت الطويلة على مدرجات الصخور بطوابقها التى يقل حجمها كلما ارتفعت بدت وكأنهـــا تشق السماء الزرقاء . وأسفل هذه البنايات المرتفعة تقبع مجموعة من البيوت المنخفضة تنتشر بلا نظـــام . يحد كل منها أسوار تتقاطع مع بعضها ، فوق الجوانب الثلاثة للسفح ، وتصـــل الى أسفل حتى الســـهل ، وتصاعدت بعض اعمدة من الدخان فى الهواء الساكن ، ثم تلاشـــت .

قالت لينينا : « شيء غريب ، غريب جدا » .. فلقد كانت تطلق كلمة غريب على اى شيء لا يعجبها ..

تم التحميل من مكتبتي

« انا لا احبه ، انا لا احب ذلك الرجل ! » . . واشارت الى المرشـــد الهندى الذى عين ليأخذها الى القرية . وكان من الواضح انه لا يحبهما ايضــا ، حتى ان كل جزء من ظهره اثناء سيره كان يعبر عن كراهيته لهما .

وخفضت صوتها وقالت : « هذا بالاضافة ، الى رائحتـــه » .

لم يحـــاول برنارد أن ينـــكر ذلك ، وواصــلا سيرهما .

وفجأة بدا كمـــا لو أن الهواء كله يدق ، يدق بحركة دموية لا تكل . لقد كانت الطبول تدق هنـــاك فى « مالبيز » . وبدات أقدامهمـــا تتوافـــق مع تلك الايقاعات الغامضة .

وبدأوا يسيرون بخطى أسرع . وقادهم الطريق الى اسفل الصخرة . كانت جوانبها ترتفع فوقهم مثل برج ضخم بارتفاع قدره ثلاثة آلاف قدم .

وقالت لينينا : « كنت أتمنى لو أحضرنا الطائرة معنا » . وتطلعت بكراهية الى واجهة الصخرة الصماء الجاثمة فوقهما . **واستطردت :** « أنا أكره المشى . الانسان يشعر بضآلته الشديدة عندما يسير على الأرض فى أسفل التل » .

سارا فى ظل الصخرة لمسافة ما ، ثم دارا حول ناحية ، ومرا بمجرى نهر جاف أهلكته المياه فى سالف الأزمان حتى وصلا الى بداية طريق صاعد . فصعدا معه .. كان ممرا شديد الانحدار ملتويا .. وفى بعض الأحيان كان ينقطع هدير الطبول ، وفى أحيان أخرى ، يبدو وكأنه فى الناصية القريبة .

وبينما كانا فى منتصف الطريق ، اذا بنسر يطير فوقهما وكان قريبا جدا لدرجة أنهما شعرا بريح باردة تكتسح وجهيهما من أثر جناحيه . وفى أحد الشروخ الصخرية كانت توجد كومة من العظام ، كان شيئا مرعبا بدرجة كبيرة ، بالاضافة الى رائحة الهندى النفاذة التى غدت أكثر وأكثر قوة ، وأخيرا خرجا من

هذا الممر حيث ضــوء الشمس . حيث قمة صخرية مسطحة .

قالت لينينا وهى تذكر نفسها بشيء مألوف لها :
« مثل برج تشارنج تى » .. لكن لم تكد ترتكن الى تلك المقارنة المريحــة حتى سمعا صوت اقدام خفيفة جعلتهما يلتفتان حولهما ، فاذا بهنديين يجريان عبر المر ، وعاريين من عند الرقبــة الى وسطيهما . وكان جسداهما البنيان مخططين بخطوط بيضــاء (مثــل ملعب التنس ، كمــا شرحت لينينا مؤخرا) ويعــلو وجهيهما مسحة متوحشــة مدهونة باللون الأحمــر والأسود والأصفر ، وكأنهما لا ينتميان للجنس البشرى .

وكان شعرهما الأسود مضفرا بشرائط حمراء وشيء من فراء الثعلب . ويتهدل على كتفيهما مئزران من ريش الطيور ، وفوق جبهتيهما زينة لامعة ملونة . ومع كل خطوة يخطوانها كانت تسمع صلصلة الأساور الفضية التى تزين سواعدهما ، وكذلك عقدان ثقيــلان يتدليان من رقبتيهما ويتكونان من العظام والأحجــار

الملونة .. وصلا بهدوء وهما يجريان بخفيهما المصنوعين من جلد الوعل . وكان أحدهما يمسك بفرشاة من الريش ، فى حين كان الآخر يمسك فى كلتا يديه ما بدا من على بعد وكأنه ثلاثة أو اربعة قطع من الحبال الغليظة . تحرك أحد الحبال وتلوى وفجأة اتضح للينينا أنها ثعابين .

اقترب الرجلان أكثر وأكثر . وتطلعت أعينهما اليها دونما أدنى علامة على أنهما رأياها أو شعرا بوجودها . ومر بهما الرجلان والثعبان المتلوى مازال معلقا على رسغه مع بقية الثعابين .

قالت لينينا : « أنا لا أحب ذلك ، لا أحب ذلك » .

لكنها تقبلت بدرجة أقل ما لقيته عند مدخل القرية ، عندما تركهم مرشدهم وذهب الى الداخل ليتلقى التعليمات .

القذارة فى البداية ، وأكوام القمامة ، والتراب ،

والكلاب ، والذباب . وتجعد وجهها من التقزز . ووضعت منديلها على أنفها .

وصرخت قائلة ، وهى لا تكاد تصدق عينيها : « كيف يتسنى لهم أن يعيشوا على هذا النحو » ؟

فقال برنارد : « لقد عاشوا على هذا النحو منذ خمسة أو ستة آلاف سنة ، ولذلك فأنا أعتقد انهم لابد أن يكونوا قد تعودوا على ذلك » .

فقالت باصرار : « ان عدم النظافة تالية لانكار الفوردية »

فقال برنارد مبتسما : « نعم ، والمدنية هى التطهير ، لكن هؤلاء الناس لم يسمعوا أبدا عن فورد ، ولذا فهم غير متمدينين . لذلك فليس هناك اهمية لأن ... »

وقبضت على ذراعه وقالت : « أوه انظر ! » .

كان هناك رجل هندى عار تقريبا ينزل ببطء على سلم خشبى من شرفة الدور الأول لأحد المنازل

باضطراب وخوف بسبب تقدمه فى السن . كان وجهه اسود مجعدا بعمق . وفمه كان خاليا من الأسنان . وفى كل ركن من شفتيه وعلى كل من جانبى ذقنه تتدلى شعيرات قليلة بيضاء على بشرته السوداء . اما شعره المشوش فكان يتدلى حول وجهه . كان جسده محنيا ولا شىء فيه سوى جلد على عظم . كان يهبط ببطء شديد ، ويتوقف عند كل نقلة قدم ، قبل ان يضعها على الدرجة الأسفل .

همست لينينا : « ما بال ذلك الرجل ؟ » واتسعت عيناها رعبا ودهشة .

فاجاب برنارد دون اهتمام بقدر ما يستطيع : « انه رجل عجوز ، هذا كل ما فى الأمر » . رغم انه فى الحقيقة كان منزعجا جدا ، لكنه بذل مجهودا ليبدو متماسكا .

فرددت قائلة : « عجوز ؟ لكن المدير عجوز . كثير من الناس عواجيز ، لكنهم ليسوا على هذا النحو » .

ـ « ذلك لأننا لا نسمح لهم بأن يصبحوا كذلك . فنحن نقيهم من المرض . نحافظ على أجسادهم فى حالة جيدة بالأساليب العلمية . فنحن نمدهم بدماء شابة على فترات منتظمة . ونعمل على أن يسير الهضم عندهم بشكل جيد وتام . لذلك ، وبطبيعة الحال لا يبدون على هذا النحو » . **ثم أضاف قائلا :** « مع الأخذ فى الاعتبار ، أن معظمهم يموتون قبل ان يصلوا الى سن هذا الكائن العجوز . ان قوة الشباب تظل بكامل قواها حتى سن الستين ، ثم يحدث انهيار .. بعدها النهاية » .

لكن لينينا لم تكن تصغى اليه . كانت تراقب الرجل العجوز . الذى وصل ببطء شديد الى اسفل . وعندما لمست قدماه الأرض . التفت . كانت عيناه الغائرتان لا تزالان تلمعان بشكل غير عادي ، وتتطلعان اليها للحظة طويلة دون أى تعبير ، ودون دهشة ، كما لو أنها غير موجودة على الاطلاق . ثم تحرك الرجل بظهره المحنى ، وسار متألما ومر بهما . واختفى .

همست لينينا قائلة : « لكن ذلك شيء متعب ، شيء قظيع . لم يكن ينبغى أن نحضر الى هنا » . وبحثت فى جيبها عن أقراص « السوما » ، لتكتشف أنها نسيت الزجاجة بأكملها فى الاستراحة . وكذلك كان جيب برنارد خاويا .

وتحتم على لينينا أن تواجه رعب قرية « ماليز » دون أى عون وتجمهر الكل حولها . وجعلها منظر امرأتين ترضعان طفليهما ، تحمر خجلا فأدارت وجهها بعيدا . اذ انها لم تر شيئا سبب لها مثل هذه الصدمة طوال حياتها . ومما زاد الأمور سوءا أن برنارد بدلا من التظاهر بعدم ملاحظة ذلك ، ظل يبدى ملاحظاته حول ذلك المشهد الحيوانى المقزز . وواصل حديثه على هذا النحو ليعرفها كيف كانت طبيعة الانسان وأصوله .

فى هذه اللحظة عاد مرشدهما ، وأشار اليهما ان يتبعاه ، وقادهما عبر شارع ضيق بين البيوت . حيث كلب ميت ملقى فوق كوم قمامة ، وامرأة ذات

رقبة منتفخة بشكل سيىء تحاول تنظيف شعر بنت صغيرة . ووقف مرشدهم عند قدمى سلم خشبى ، ثم أشار الى أعلى والى الأمام . أطاعا اشارته ، وصعد السلم ، ثم دخلا من خلال مدخل بأعلى ، الى حجرة ضيقة ، مظلمة الى حد ما ، تنبعث منها رائحة دهن مطبوخ وملابس قذرة . وفى نهاية الحجرة كان هناك باب آخر ، تدخل منه أشعة الشمس ، وهدير الطبول العالى جدا .

عبرا ذلك الباب ووجدا نفسيهما فى شرفة متسعة ، تطل على ميدان القرية الذى تحده البيوت العالية من جميع الجهات ، وقد ازدحم بالهنود . يلتفون بملاءات ناصعة ، ويزينون شعورهم السوداء بالريش ، وحليهم لامعة ، وبشرتهم السوداء تتألق بسبب الحرارة . وضعت لينينا منديلها على انفها . وفى مكان متسع فى وسط الميدان ، كان يوجد منصتان مستديرتان من الطوب والطين . وكان من الواضح انهما سطحان لغرف أرضية ، لأن كل منصة كان يوجد بها غطاء متحرك ، به سلم قادم من أسفل ،

حيث الظلمة . وسمع صوت عزف لآلة فلوت قادم من أسفل ، لكنه كان يضيع أحيانا خلال ايقاعات الطبول المنتظمة .

كانت لينينا تحب الطبول . فأغلقت عينيها وأخذت تصغى لهديرها المتكرر الرقيق ، لكنها فزعت فجأة بانفجار غنائى ، صدر من حناجر مائتى رجل يغنون معا بصوت عال أجش عنيف .. استمر الغناء لفترة قصيرة ، ثم حدث صمت ، وردت عليهم امرأة ، تغنى بصوت عال حاد ، ثم عاودت الطبول هديرها مرة ثانية ، ثم صوت هدير عميق للرجال مرة ثانية .

فجأة خرج من تلك الحجرات السفلية مجموعة من الكائنات الغريبة المفزعة . بعضهم يرتدى أقنعة قبيحة ، والبعض الآخر طلى وجهه ، وبدوا وكأنهم لا يمتون للبشر بشيء . وتحلقوا فى رقصة غريبة فى الميدان . وأخذوا يدورون ويدورون وهم يغنون .. يدورون ويدورون ــ وفى كل مرة أسرع قليلا ،

يصاحبهم قرع طبول أسرع ، حتى غدا أشبه بحمى دموية فى الآذان ، وشرعت الجموع تغنى مع الراقصين، أعلى وأعلى ، وصرخت امرأة فى البداية فتبعتها باقى النسوة ، ثم واحدة أخرى وأخرى ، كما لو انهن قد قتلن ، وفجـأة غادر قائد مجموعة الرقص الدائرة ، واندفع ناحية صندوق خشبى ، موجود عند نهايـة الميدان ، ورفع غطاءه والتقط زوجـا من الثعـابين السـوداء .

ندت صرخة فظيعة من الجمع ، وهرع ناحيتـه كل الراقصين واذرعهم ممـدودة . فألقى بالثعابين لأولئك الذين وصلوا أولا ، ثم مد يديه فى الصندوق واخرج المزيد من الثعـابين . وبدات الرقصـة مرة ثانية ، لكن بايقاع مختلف ، واخذوا يدورون بثعابينهم، ويتلوون ويلتفون بأجسادهم كما لو كانوا ثعابين .. يدورون ويدورون . ثم أعطى القائد اشـارة ، فأخذ كل فرد بعد الآخر ، يلقى بالثعـابين وسط الميدان .

وخرج رجل عجوز من الغرف التحتيـة ونثر فوقهم دقيق القمح ، وخرجت من غرفة اخرى امرأة،

أخذت ترش عليهم ماء من جرة سـوداء . ثم رفـع الرجل العجوز يده ، وفجـأة ، حدث صمت تام . توقفت الطبول عن القرع ، وبدا كما لو أن الحيـاة وصلت الى نهايتها . وأشـار العجوز الى المدخلين المؤديين الى العالم السفلى .

وارتفعت ببطء من اسفل صورة لنسر ، تدفعها أياد خفية ، من أحد المدخلين ، ومن الآخر ظهرت صورة لرجل عريان مصلوب . وصفق الرجل العجوز بيديه . فقفز من وسط الجموع فتى فى سن الثامنة عشرة ، عـار تقريبا ، فيما عدا قطعة من قماش قطنى ابيض تلتف حـول وسـطه ، ووقف أمامـه ويداه متقاطعتان فوق صدره ، ورأسه محنية الى الامام . ورسم الرجل لعجوز علامة الصليب فوقه وابتعد عنه .

وبدا الفتى يمشى ببطء حـول كومة الثعـابين الملتوية . ومن بين جموع الراقصين تقدم نحوه رجل طويل يرتدى قنـاع اسـد جبلى وبيده سـوط . وواصل الفتى سيره ، كما لو انه لم يلحظ تقدم الآخر .

رفع الرجل المقنع سوطه ، وحدثت فترة صمت طويلة، وسمعت فرقعة السوط فى الهواء ، ثم صوت ضربة سوط ثقيلة على جسم الفتى .

ارتج جسم الفتى ، لكن لم يصدر منه أى صوت ، وواصل سيره بنفس البطء ، بخطوات ثابتة. توالت ضربات السوط ، وعند كل ضربة كانت تسمع صرخة مكتومة ، أولا ، وبعدها أنة عميقة من الجموع . واصل الفتى سيره . ودار حول كومة الثعابين مرتين ، ثلاثة ، أربعة . والدماء تنزف منه . ودار للمرة الخامسة ، والسادسة . وفجأة غطت لينينا وجهها بيديها وبدأت تبكى **وقالت بتوسل** : « أوه ، أوقفوا ذلك ، أوقفوا ذلك » .. لكن السوط كان يهوى ويهوى ، دون رحمة . وأكمل الدورة السابعة ، بعدها سقط الفتى فجأة على وجهه . دون أدنى صوت .

انحنى الرجل العجوز فوقه ، ولمس ظهره بريشة بيضاء طويلة ، ورفعها بعد لحظة ، حمراء بلون الدم ، لكى تراها الجماهير ، ثم هزها ثلاث مرات فوق

الثعابين . سقطت منها قطرات قليلة ، وفجأة بدأت الطبول تقرع ثانية فى ايقاع سريع جارف . حدثت صيحة عظيمة . واندفع الراقصون الى الأمام يلتقطون الثعابين ، وأسرعوا خارجين من الميدان . وأخذ الجميع ، رجال ونساء وأطفال يجرون خلفهم .

بعد دقيقة أصبح الميدان خاليا ، فيما عدا الفتى. الذى بقى منطرحا على وجهه حيث سقط ، ساكنا تماما . وجاءت ثلاث نسوة من احد البيوت وحملن الفتى بصعوبة الى داخل البيت . وظل النسر والرجل المصلوب كمراقبين لفترة قصيرة حتى اصبح الميدان خاليا . ثم اختفيا تحت الأرض بعيدا عن الأنظار فى العالم السفلى .

كانت لينينا ما تزال تبكى وتردد : « شىء فظيع جدا ، منتهى الفظاعة ! خاصة تلك الدماء .. ثم ارتعشت بشدة **وقالت :** « أوه ، اتمنى لو كان معى أقراص سوما » !

سمعت أصوات أقدام فى الحجرة الداخليـة جلسـت لينينا دون حـراك ، ووجهها مدفون بين يديهـا . وكل ما فعله برنارد هو أن التفت حوله

كانت ملابس الشاب الذى دخل الشرفة فى تلك اللحظة ، هندية ، لكن شعره كان بلون القش الأصفر ، وعيناه زرقاوان شاحبتان وبشرته بيضـاء ، رغم أن الشمس لوحتها **وقـال باللغة الانجليزية ولكن بلكنـة غريبـة :**

ـ « هاللو . صباح الخير » .

ثم **أكمل :** « أنتم متمدينون أليس كذلك ؟ أنتم من المكان الآخر ، بعيدا عن المعسكر ؟ » .

فقال برنارد بدهشة : « من أنت . . . ؟ » .

تنهد الشاب وهز رأسـه وقال : « فتى سيىء الحظ » وأشار الى الدماء الموجودة وسط الميدان . « هـل ترون ذلك المكان اللعين » ؟ سـألهم بصـوت مرتعش متأثر .

وصاحت لينينا من خلف يديها : « اوه ، كم أتمنى لو كان معى حبوب السوما » ؟

وواصل الشاب كلامه : « كان يتحتم على ان اكون هناك ، لماذا لم يدعونى لأن اكون الضحية ؟ فقد كان بامكانى ان الف عشر مرات ـ اثنتى عشرة مرة ، خمس عشرة . فى حين أن « بالوهوينا » لم يلف اكثر من سبع لفات . كان من الممكن ان يحصلوا على ضعف كمية الدم التى حصلوا عليها . تكفى لصبغ البحار الزاخرة » .

ورمى بذراعيه الى الأمام وتركهما تسقطان الى جنبيه فى يأس **وقال :** « لكنهم لم يسمحوا لى . انهم يكرهوننى بسبب لون بشرتى . وهى دائما على هذا النحو ، دائما . توقفت الدموع فى عينى الشاب . واحس بالخجل ، فأشاح بوجهه بعيدا .

ولدهشة لينينا فقد نست كل شىء بخصوص السوما . ورفعت يديها من على وجهها ونظرت لأول

مرة الى الغريب **وقـــالت** : « هل تقصــد ان تقول ، انك كنت تريد أن تضرب بذلك السوط » ؟

هز الشاب الغريب رأسه وقـال : « من أجل القرية .. حتى ينزل المطر وينمو القمح . واسـعد الاله بوكنج ، ولكى اظهر الى اى مدى استطيع تحمـل الألم دون صراخ !

واصبح صوته أكثر حزما ، واسـتدار ناحيتها وهو يرفع راســه بفخر **وقــال** : « ولكى اظهر اننى رجل .. اجل ! » . وسحب نفسا عميقا حادا . وظل صامتا يحملق . فلقد شاهد لأول مرة فى حياته وجه فتاة ووجنتين ليستا بلون الشيكولاتة أو جلد الكلب ، فتاة شعرها ذهبى ، وجميلة ، تنظر اليه برقة (وهذا شىء لم يتعود عليه) . فقد كانت لينينا تبتسم له ، فقد كان فتى جميــل الطلعة ، من وجهـــة نظرها ، وجسمه جميل متناسق .

احمر وجه الشاب خجـلا ونكس عينيــه الى اسفل ، وامتلأ باحساس جديد غريب ، لدرجة انه

التفت جانبا وتظاهر بشكل جاد بأنه يتطلع الى شيء آخر على الجانب الآخر من الميدان .

اندفع برنارد بسيل من الأسئلة من مثل ، من ؟ وكيف ؟ ، ومتى ؟ . وثبت الشاب نظره على وجه برنارد (لأن رغبته لرؤية ابتسامــة لينينا كانت من القوة لدرجة أنه كان لا يجرا على النظر اليها) . وحــاول الشاب أن يعطيهم فكرة عن نفســه . فهو وليندا ــ (ليندا كانت أمه ــ وأبدت لينينا عدم ارتيــاح عند سماعها لذلك) غرباء عن معسكر العزل . فلقد حضرت ليندا من المكان الآخر ، منذ فترة طويلة ، قبل أن يولد مع رجل كان أباه . (وأنصت برنارد باهتمام) . خرجت تتمشى وحدهــا فى تلك الجبــال هنــاك فى الشمال . فسقطت فى منحدر وأصيبت فى رأسها : (فقال برنارد بلهفة ، استمر ، استمر) وعثر عليهــا بعض الصيادين من مالبيز وأحضروها الى القرية . لأن الرجل الذى كان أباه ، والذى لم تره ليندا أبدا مرة ثانية ، وكان اسمه توماكن (أجل توماس ، كان

اسمه الأول) قد طار عائدا الى المكان الآخر :
دونها ـ رجل سيىء ـ قاس ، رجل غير طبيعى .

ـ « وهكذا ولدت فى ماليبز ـ فى ماليبز » .
وانهى كلامه بهزة من راسه .

يا لقبح ذلك البيت الصغير على حدود القرية !
فقد كان يفصله عن القرية كم من التراب والقمامة ، وكان هناك كلبان يكادان أن يموتا جوعا يدسان انفيهما بشراهة فى القمامة الموجودة أمام البيت . اما بالداخل ، عندما دخلا ، فقد قوبلا بالرائحة الكريهة القوية لهواء عطن ، كما انه ملىء بطنين الذباب .

نادى الشاب : « ليندا » !

وجاء صوت امرأة محشرج من الغرفة الداخلية « أنا قادمة » .

وانتظروا قدومها . على الأرض كان يوجد وعاء به بقايا وجبة طعام ، أو ربما وجبات .

فتح الباب . ودخلت امراة شقراء بدينة جدا وقفت تحملق فى الغريبين ، وفمها مفتوح من الدهشة. ولاحظت لينينا بشيء من الاشمئزاز ان سنتين من اسنانها الأمامية مفقودتان . ولون الأسنان الباقية .. لم تواتها الشجاعة للنظر اليها .

كانت سمينة جدا . ووجهها ملىء بالتجاعيد . وخداها متهدلان بلون قرمزى . وارنبة انفها حمراء ، وعيناها بها شعيرات حمراء . ورقبتها .. يا لرقبتها ! والملاءة التى تلف بها رأسها ـ ممزقة وقذرة . ويتبدى على الجلباب البنى الذى ترتديه ثديان ضخمان ، وبطن مكورة .

كانت اسوأ بكثير من الرجل العجوز ، اسوأ بكثير ! وفجأة انفجر ذلك المخلوق بتيار متدفق من الحديث ، ثم اندفعت نحوها ويداها ممدودتان اوه فورد ، فورد ! كان الأمر فظيعا ، فقد كان من الممكن ان تصاب لحظتها بالغثيان ، لأنها احتضنت لينينا بشدة الى جسدها السمين وبدأت تقبلها .. أوه ،

فورد ! أن تقبل بمثل هذه القبل المبتلة ، بالاضافة الى رائحتها الفظيعة ، مما يؤكد أنها لم تستحم ابدا . كما أنها كانت محتسية شرابا قويا جدا . تخلصت لينينا منها بسرعة .. بأسرع ما يمكن وابتعدت عنها .

وحملقت فيها بوجه ملتو ، فقد كانت المرأة تبكى وتقول : « أوه ، يا عزيزتى ، يا عزيزتى ، لو تعرفين الفرحة التى تغمرنى .. خاصة بعد كل تلك السنين ! ارى وجهـا متمدينا ! اجل ، وملابس متمدينة .. لاننى لم أكن اعتقد انه ستتاح لى الفرصة أبدا لرؤية قطعة حقيقية من الحرير الصناعى مرة ثانية . وهذا البنطلون القصير ! هل تعرفين يا عزيزتى ، اننى مازلت احتفظ بملابسى القديمة ، التى جئت بها الى هنا ، حفظتها بعيدا فى صندوق . سوف أريها لك فيما بعد . رغم أن الملابس كلها قد تهرأت بالطبع . اعتقد أن جون قد أخبركم بما عانيته .. لم يكن فى حوزتى جرام واحد من السوما ، فيما عدا شراب « الميسكالى » من حين لآخر ، الذى تعود « بوب » أن يحضره ، وبوب هذا رجل كنت على علاقة به . وشراب « الميسكال »

هذا كان يجعلك تشعرين بالتعاسة والضيق فيما بعد بالاضافة الى الشعور الفظيع بالخزى الشديد ؛ فى اليوم التالى لتناوله . ولطالما انتابنى الخزى . ولك أن تتصورى ـ فأنا التى تنتمى لفصيلة ـ بيتا ـ يكون لدى طفل ، ضعى نفسك مكانى ! » .

(ومجرد الاقتراح جعل لينينا ترتجف) « رغم أن ذلك لم يكن غلطتى ، أقسم على ذلك . فأنا مازلت لا اعرف كيف حدث ذلك . فقدقمت بكل الاحتياطات اللازمة . لكن رغم ذلك حدث ، وبالطبع لا يوجد هنا مركز للاجهاض . وبالمناسبة ، هل مازال موجودا فى شلسى ؟ .. سألت ، واومأت لينينا برأسها .

ـ « وهل ما زالت الأضواء فياضة يومى الخميس والجمعة ؟ » فهزت لينينا راسها ثانية .

ـ « وذلك البرج الزجاجى الوردى اللون ! » .. ورفعت « ليندا » وجهها الى أعلى وبعينين مغلقتين استحضرت فى ذهنها تلك الصورة البراقة ، وهمست قائلة : « والنهر أثناء الليل ، والعودة بالطائرة فى

المساء بعد لعب مباريات الجولف » .. وانحدرت الدموع بطيئة من تحت جفنيها المغلقين .

سحبت نفسا عميقا ، وهزت رأسها ، وفتحت عينيها ونفضت أنفها بأصابعها ومسحتها فى ملابسها . وقالت عندما رأت تقزز لينينا : « أوه أنا آسفة ، لم يكن ينبغى على أن أفعل ذلك . لكن ماذا يجب على أن أفعل اذا لم تكن هناك مناديل ؟ » .

وهوت ليندا برأسها وقالت : « لقد حاولت أن أخبرهم عن خطورة انتشار الأمراض وضرورة الاهتمام بالنظافة عندما جئت الى هنا ، لكنهم لم يفهموا . وفى النهاية يبدو اننى تعودت على ذلك . وعلى أى الأحوال، كيف يتسنى للانسان أن يحافظ على نظافة الأشياء طالما لا توجد صنابير مياه ساخنة . انظرى الى تلك الملابس . هذا الصوف الفظيع ، أليس شبيها بالمواد الصناعية . لا يبلى أبدا . بل تبقى وتبقى ، وينبغى عليك رتقها اذا تمزقت . أنا من فصيلة بيتا . وقمت بالعمل فى غرفة الاخصاب . ولم يعلمنى أحد أبدا

القيام بمثل هذه الأعمال ، ليس هـذا عملى . هذا بالاضافة لأنه ليس من السليم ان نقوم باصلاح الثياب. فالمفروض ان نلقيها عنـدما تبلى ونشـترى اخرى جديدة . « احتياج كثير ، وثراء أقـل » كل شيء مختلف هنا . كأنك تعيش وسط أناس مجانين » .

ثم **خفضت صوتها وقالت :** « خذى مثلا تلك الطريقة التى ينجبون بها . شيء مجنون ، أقول لك ، جنون مطبق . فكل شخص ينتمى الى شخص آخر ، أليس كذلك ؟ » قالت بهمس وهى تشد كم لينينا . هزت لينينا رأسـها واشاحت براسها بعيدا بسبب رائحة نفس ليندا . **وواصلت كلامها قائلة :** « فعلى سبيل المثال ، ليس مسموحا لأى امراة بالارتبـاط بأكثر من شخص واحد . ولو انك التقيت بالرجـال بالشكل العادى يعتقد الآخرون انك انسانة سيئة . ذات مرة جاءتنى مجموعة من النساء وصرخن فى ، لأن رجالهن يحضرون لزيارتى .. فقلت ولم لا ؟ وعندئذ اندفعن ناحيتى .. كان شيئا فظيعـا . لا استطيع أن أخبرك بما حدث » . وغطت « ليندا » وجهها وبدأت

تبكى ، « النساء هنا » فى منتهى الحقد والكراهية . مجنونات ، مجنونات وقاسيات . فهن لا يعرفن اى شىء بالطبع ، عن الزجاجات ولا التلقيح الصناعى ، أو اى شىء من ذلك القبيل ، ولذا فهن ينجبن أطفالا طوال الوقت .. مثل الكلاب . شىء مقزز جدا . وكلما فكرت فى اننى أنجب .. أوه ، فورد ! فورد ، فورد ! رغم ان وجود جون يمثل راحة عظيمة بالنسبة لى . لا أدرى ماذا كنت أفعل بدونه . رغم أنه كان يتضايق جدا عندما كان يزورنى رجل آخر .. فقد كان يتصرف كصبى صغير . وذات مرة (كان ذلك عندما كبر) حاول أن يقتل المسكين الذى يزورنى . ويرجع ذلك لاننى لم استطع أن اجعله يفهم أبدا ، ان ذلك هو الأسلوب الذى ينبغى أن يمارسه الناس المتحضرون ، واعتقد ، أنه كان من الصعب عليه ان يدرك ذلك . وعلى أية حال ، فيبدو أن جون اكتسب ذلك من الهنود ، لانه يخالطهم كثيرا بطبيعة الحال . رغم انهم غير ودودين معه ، ولا يدعونه يفعل كل ما يفعله الشبان الآخرون . وقد سهل هذا الأمور

بعض الشيء بالنسبة لى ، حتى أكيفه بعض الشيء . رغم انه ليس لديكم فكرة عن صعوبة ذلك ، فهنـــاك الكثير جدا مما لا يعرفه الانسان . وليس من شـــأنى ان أعرف . أعنى عندما يسألك طفل عن كيفية تسيير الهليوكوبتر او من الذى خلق العالم .. فمـــاذا يمكنك أن تجيب ، اذا كنت من فصيلة البيتا ، وكنت تعمل بصفة دائمة فى غرفة التلقيح ؟ بماذا عساك ان تجيب اذن ؟ !

تم التحميل من مكتبة

الفصـــل الثـــامن

هنـــاك بالخـــارج ، حيث التراب والقمامـــة (وأربعة كلاب الآن) كان جون وبرنارد يتمشـــيان ببطء ذهابا وايابا .

كان برنارد يقول : « من الصعب جدا بالنســـبة لى أن أفهم ، وأن أحيط بكل هذه الأشـــياء ، كمـــا لو كنا نعيش فى كواكب مختلفة وعصـــور مختلفة . فالأم ، وكل تلك القذارة ، والآلهـــة ، ولعصر القديم والأمراض » .. وهز رأسه . واستطرد « كل هـــذه أشـــياء لا يمكن تصـــديقها . لن أفهم أبدا الا اذا شرحت لى » .

ـ « اشرح ماذا ؟ » .

ـ « هذه » . واشار الى القرية . « وتلك » .

تم التحميل من مكتبتي

وأشــار الى البيوت الصــغيرة المتناثرة على أطراف القرية . « كل شيء . كل حياتك » .

ــ « لكن ماذا يمكن ان أقول ؟ » .

ــ « من البدايــة . على قــدر ما تستطيع أن تتذكر » .

ــ « على قدر ما استطيع ان اتذكر » .. وفكر جون بعمق . وحدثت فترة صمت طويلة .

كان الجو حارا جدا . وقد تناولا كميــة من الكعك والأذرة المسكرة . وقالت ليندا : « تعال لتنام . يا صغيرى » . واستلقيا على سرير عريض . « غنى » وغنت ليندا ، أغــانى الأطفال . وغدا صوتها أوهن فأوهن ...

استيقظ فزعا على صوت ضجة عالية . فقد كان هناك رجل ضخم ومرعب ، يقف بجوار السرير . كان يقول شيئا « الليندا » ، وكانت « ليندا » تضحك . كانت قد شدت الملاءة حتى ذقنها ، لكن الرجل جذبها

ثانية . كان شعره يشبه حبلين اسودين وحول ذراعه اسورة فضية جميلة بها فصوص زرقاء . اعجبته الاسورة ، لكنه فى نفس الوقت كان مذعورا ، فأخفى وجهه فى جسد ليندا . ووضعت « ليندا » يدها عليه فأحس بالاطمئنان . ولم يفهم مما قالته للرجل ضمن كلمات أخرى سوى « ليس جون موجودا » . لكن الرجل امسك به من احدى ذراعيه ، وكانت تؤلمه . فصرخ . فمد الرجل ذراعه الثانية ورفعها . وأمسكت ليندا به وهى تقول : « كلا ، كلا » . وقال الرجل كلمات قصيرة غاضبة .. كان يقاوم ويرفس بقدميه ، لكن الرجل حمله واتجه ناحية الباب ، وفتحه ، ووضعه على الأرض وسط الحجرة الأخرى ، ومضى واغلق الباب خلفه . نهض وجرى ناحية الباب . ووقف على أطراف أصابعه حتى وصل الى مقبض الباب . أدار المقبض ودفع الباب ، لكنه لم يفتح . وصاح : « ليندا » . لكنها لم ترد .

تذكر ايضا حجرة ضخمة ، معتمة تقريبا ، كانت توجد بها أشياء خشبية ضخمة مثبت عليها

خيوط كثيرة ، ومجموعة من النسوة يقفن حولها .. يصنعن ملاءات ، كما قالت « ليندا » . وطلبت منه ليندا أن يجلس فى أحد الأركان مع الأطفال الآخرين ، بينما ذهبت هى لمساعدة النسوة . لعب مع الأطفال لفترة طويلة . وفجأة بدأ الناس يتكلمون بصوت مرتفع جدا ، وامرأة تدفع « ليندا » الى الخارج ، وهى تصرخ . واتجهت ناحية الباب وجرى هو خلفها . وسألها عن سبب غضبهم . فقالت : « لاننى كسرت شيئا » . وانتابها غضب شديد وقالت : « كيف يتسنى لى أن أعرف كيفية القيام بعملية النسيج الغبية تلك . همجيون فظاع » . فسألها عن معنى الهمجية . عندما عادا الى المنزل ، كان بوب منتظرا عند الباب ، ودخل معهما . كان معه جرة مليئة بشىء أشبه بالماء ، لكنه ليس بماء ، شىء كريه الرائحة ، يلسع الفم ويجعلك تسعل ، شربت « ليندا » شيئا منه ، وكذلك بوب ، بعدها شرعت « ليندا » تضحك كثيرا ، وتتكلم بصوت عال جدا ، ثم ذهبت هى و « بوب » الى الحجرة الثانية . عندما انصرف بوب ، دخل

الحجرة . كانت « ليندا » مستغرقة فى النوم على السرير ، ولم يستطع أن يوقظها .

كان بوب يأتى كثيرا . وقال ان الشىء الموجود فى الجرة ، يسمى « ميسكال » ، لكن « ليندا » قالت بل ينبغى أن يسمى « سوما » ، فيما عدا انها تجعل الانسان يشعر بالسقم بعد ذلك . كان يكره بوب . كما يكره كل الآخرين .. كل الرجال الذين يأتون للقاء « ليندا » . بعد ظهيرة احد الأيام بينما كان يلعب مع الأطفال الآخرين ـ وكان الجو باردا على ما يذكر والثلج يغطى الجبال ـ سمع ، عند عودته الى البيت اصواتا غاضبة فى حجرة النوم . كانت أصوات نساء ، يقلن كلمات لم يستطع فهمها ، لكنه كان يعرف انها كلمات فاحشة . وفجأة سمع صوت فرقعة ! شىء يسقط ، وهرج ومرج ، ثم صوت فرقعة اخرى ثم صوت أحد يضرب ، بعدها سمع « ليندا » تصرخ ، « أوه ، لا تضربونى ، لا تضربونى ! » . اندفع داخلا . حيث وجد ثلاث نساء متشحات بملاءات سوداء . و « ليندا » على السرير . واحدة من النساء تمسك

رسغيها ، والثانية جاثمـة على ساقيها ، والثالثـة تضربها بالسوط . مرة ، اثنين ، ثلاثة ، وفى كل مرة كانت « ليندا » تصرخ . فأمسك وهو يبكى بيد المرأة البنية اللون وعضها بشدة بقدر ما يستطيع . وصرخت المرأة ، وانتزعت يدها ودفعته دفعـة قوية حتى انه وقع على الأرض . وبينما كان على الأرض ضربتـه المرأة ثلاث مرات بالسـوط . وآلمـه ذلك أكثر من أى ضرب آخر حدث له .. مثل لسعة النار .

ــ « لكن لمـاذا يردن ايذاءك « يا ليندا ؟ » سألها تلك الليلة » .

ــ « لا أدرى . كيف يتسنى لى أن أعرف ؟ يقلن ان الرجال الذين يزورننى رجالهن » . ثم انفجرت فى البكاء .

ضمها اليه . ووضـع ذراعـه حول عنقهـا . فصرخت « ليندا » « أوه ! انتبه . كتفى . آه ! » ودفعته بشدة بعيدا عنها ، فارتطمت رأسه بالحائط ، وآلمته . فصرخت « أيها الأحمق ! » وفجـأة بدأت تضربـه .

فصاح فيها : « اوه ، ليندا ، كلا ، لا تضربينى يا أمى ! » .

ـ « انا لسبت امك . ولا أود أن أكون أمك » . وتحولت الى شخص شرس واخـذت تصرخ : « أن يكون لى ابن ، مثل الحيوانات ... لو لم تكن انت موجودا ، لكان فى استطاعتى أن أذهب للمفتش ، أو أن أهرب بعيدا . لكن ليس ومعى طفل . فذلك مخز جـدا .

وشعر بأنها ستضربه ثانية ، فرفع ذراعه ليحمى وجهـه ، وهو يقول : « لا تضربينى ، يا ليـندا ، أرجوك ، لا تضربينى ! » .

اغلق عينيه متوقعا الضربات ، لكنهـا لم تضربه . وبعد برهة قصيرة فتح عينيـه فوجدها تنظر اليه . حاول أن يبتسم لها . وفجأة إحاطته بذراعيها وقبلته مرات ومرات .

اسعد الأوقات كانت تلك التى تحكى له فيهـا عن المكان الآخر .. وكيف انه بامكان المرء أن يطـير

عندما يشاء ، ويستمع الى الموسيقى التى تنبعث من الصناديق ، وتلك الصناديق التى يمكنك سماع ورؤية ما يحدث فى أى مكان آخر فى العالم من خلالها . والأطفال فى الزجاجات النظيفة ـ وكل شىء نظيف ، ولا روائح كريهة ولا قذارة على الاطلاق ـ والناس لا تعيش وحدها أبدا ، بل يعيشون معا وسعداء طوال الوقت .

فى بعض الاحيان عندما كان يشعر بالتعب هو وزملاؤه الأطفال من كثرة اللعب ، كان هناك رجل عجوز من رجال القرية يحكى لهم حكايات غريبة عن الآلهة وعن بداية العالم . حكايات غريبة لم يستطع أن يستوعبها تماما . وعندما كان يستلقى على الفراش أخيرا ، كان يفكر فى السماء وفى لندن وفى صفوف الزجاجات النظيفة والمسيح وليندا والطيران ومدير مركز التفريخ العالمى وفورد نفسه .

كان الأطفال يقولون أشياء سيئة عن « ليندا » والرجال الذين يذهبون لرؤيتها ، أحيانا كانوا

يسخرون منه بسبب ثيابه الممزقة ، فعندما كان يمزق ثيابه لم تكن « ليندا » تعرف كيف تصلحها . فى المكان الآخر ، كما أخبرته ، يلقى الناس بملابسهم الممزقة ويحصلون على ملابس جديدة . لكن ليندا علمته القراءة ، ورسم اللوحات والحروف على الجدار بطرف فرع شجرة محترق ، وعندما كان الأطفال يسخرون منه كان يقول لنفسه : « لكننى أستطيع القراءة ، وهم لا يستطيعون . انهم لا يعرفون حتى ما هى القراءة ».

وعندما اجاد القراءة ، اعطته ليندا كتابا صغير كانت قد احتفظت به مع ملابسها التى جاءت بها من المكان الآخر ، داخل صندوق . كان الكتاب عبار عن التعليمات الخاصة بعمال « مخزن بيتا للأجنة » عن المواد الكيمائية المطلوبة للتطورات المختلفة عند معالجة الاجنة داخل الزجاجات . لكن رغم انه قرأ كل الكلمات الموجودة جيدا ، وحتى الطويلة منها . لكنه لم يستطع ان يعرف ماذا تعنى ؟ .. فسأل « ليندا » : لكنها حتى عندما أجابت لم تستطع ان

تجعل الأمر واضحا تماما . أى أنها لم تستطع الرد على الاطلاق ، بصفة عامة .

وعندما سألها : « ما هى الكيمياء ؟ »

ــ « اوه ، هى أنواع مختلفة من الأمـلاح تجعل العظام تنمو ، ووسيلة للمحافظة على فصيلة دلتـا والابسيلون بحجمهـا الصغير ، والعكس ، وكل تلك الأشـياء من هـذا القبيـل . وما الى كل ذلك من أنـواع » .

ــ « لكن كيف تصنعون الكيمياء ، يا ليندا ؟ ومن أين تأتى » ؟

ــ « لا اعرف . يمكنـك الحصـول عليهـا من الزجاجات ، وعنـدما تفرغ الزجاجات تبعث للمخزن الكيميائى لطلب المزيد . رجال المخزن الكيميائى هم الذين يصنعونها ، على ما أعتقد . أو ربما يرسلون لطلبها من المصنع . لا أعرف . فأنا لم اقم بأى عمليـة كيمائية ابدا . وظيفتى كانت تختص بالأجنة » .

كان الأمر على هــذا النحو بالنسـبة لاى شيء يسأل عنه . ولم يكن يبدو أن ليندا تعرف أبدا أما رجل القرية العجوز فقد كانت لديه اجابات أكثر تحديدا عن كيفية بداية العالم .

ذات يوم (ويعتقد جون انه بعد عيد ميــلاده الثانى عشر بقليل) عــاد الى البيت ووجد كتابا لم يره من قبل ابدا ملقى على الأرض فى حجرة النوم ، كان كتابا ضخما ويبدو عليه القدم الشديد . حوافه متآكله بأسنان فأر ، وبعض صفحاته ممزقة . التقط الكتاب وتطلع الىٰ عنوانه . كان الكتاب يسمى (الأعمال الكاملة لوليم شكسبير) .

كانت ليندا مستلقية على السرير ترتشف ذلك المشروب الفظيع (الميسكال)من فنجان . **وقــالت :** « بوب هو الذى أحضر الكتــاب . وجده فى صندوق فى ركن معبد الآلهة . اعتقد انه موجود هنــاك منذ مئات السنين . واتوقع أن يكون ذلك حقيقيا ، لاننى تطلعت فيه ، ويبدو انه ملىء بالهراء . كتــاب عير

حضارى . لكن على أية حال ، لا بأس به لنتدرب فيه على القراءة ، « أنهت كلامها بصوت أجش ثمل . ثم شربت الرشفة الأخيرة ، ووضعت الفنجان على الأرض بجانب السرير ، وانقلبت على جنبها ، وراحت فى سبات عميق .

بدأ يقرأ . وبدات الكلمات الغريبة تدوى فى راسه ، مثل دوى الرعد . مثل هدير الطبول فى رقصات الصيف ، لو أن الطبول تستطيع الكلام ، مثل أغانى الرجال أيام حصاد القمح ، كلمات جميلة ، جميلة ، من الممكن أن تجعلك تبكى ، مثل كلمات الساحر العجوز « ميتسيما » التى كان يقولها فوق الريش وعصيه القوسة ، وقطع العظام والحجارة .. لكنها أفضل كثيرا من سحر « ميتسيما » لأنها تتحدث اليه . صحيح انه لم يستطع أن يستوعب الكلمات تماما ، لكنها كانت مليئة بسحر رائع جميل .

وعندما أصبح فى الخامسة عشرة . علمه « ميتسيما » فن صناعة الأوانى الفخارية . وأول

وعاء قام بصنعه ، كان من السوء لدرجة انه مال على جنبه : « لكن الثانى سيكون افضل » .. قال ذلك وشرع فى تشكيل قطعة ثانية من الطين . تعلم كيف يحب عمله . ووجد سعادة بالفة فى صنع الأشياء بيديه ، وفى التعلم كل مرة بأن يقوم بها بشكل افضل. كانا يعملان طوال النهار جنبا الى جنب على شاطىء النهر ، ويغنيان اثناء قيامهما بصناعة الأوانى .

قال العجوز « ميتسيما » فى الشتاء القادم ، سأعلمك صناعة القوس » .

عندما أصبح فى سن السادسة عشرة ، كان يتحتم على الفتيان الآخرين من نفس سنه ان يذهبوا الى المعبد ليلة اكتمال القمر ، حتى يلقنوا الأسرار ، وبعدها يصبحون رجالا . وأخيرا حل اليوم الذى ينبغى أن يذهب فيه الى هناك . غربت الشمس، وطلع القمر . وذهب مع الآخرين .

وعند مدخل المعبد كان يقف رجال ، عبارة عن أشكال سوداء . وكان هناك سلم هابط يؤدى ألى كهف

فى اسفل ، يشع بضوء احمر . وهبط اول فتى بالفعل . وفجأة تقدم اليه احد الرجال ، وأمسكه من ذراعه . واخرجه من الصف . فتخلص منه وعاد بسرعة الى مكانه بين الآخرين . وفى هذه المرة دفعه الرجل وجذب شعره . وقال واحد من الرجال : « لا يسمح لك بذلك ، يا صاحب الشعر الأبيض ! غير مسموح لك . يا ابن الكلبة » . وضحك الفتيان . وصاح الرجال « امش ! » وبينما كان لايزال مترددا وهو يقف عند طرف المجموعة صاح به الرجال ثانية : « امش ! » وانحنى احدهم ، وامسك بحجر ورماه به . « امش ! امش ! » .. ثم انهمر وابل من الحجارة . وجرى بعيدا والدماء تنزف منه . وانبعث من الكهف المضاء باللون الأحمر اصوات غناء . ونزل آخر الفتيان السلم . واصبح هو وحيدا .

هناك فى العراء ، خارج القرية ، اصبح وحيدا تماما . وبدت له الصخور وكأنها عظام بيضاء فى ضوء القمر . كانت الكلاب تنبح هناك فى الوادى تحت ضوء القمر . كانت الخدوش تؤلمه ، ومازالت

جروحه تدمى ، وبكى ليس بسبب الألم ، لكن بسبب عزلته ، ولأنه طرد بعيدا ، وحده ، فى تلك المنطقة الجبلية وضوء القمر . جلس على حافة صخرية . كان القمر خلفه ، وتطلع الى الظل الأسود ، ظل الموت الأسود . كل ما عليه أن يخطو خطوة واحدة ؛ قفزة واحدة ... رفع ذراعه اليمنى تحت ضوء القمر . ومن جرح فى رسغه كانت الدماء ما تزال تقطر ببطء شديد . وكل بضعة ثوان كانت تنزل قطرة ، سوداء ، لا لون لها فى ذلك السواد الحالك . نقطة ، ونقطة ، ونقطة . وتذكر كلمات من مسرحية ماكبث « غدا وغدا وغدا » .

فى تلك اللحظة تعرف على الزمن والموت ، والله .. « وحدى ، دائما وحدى » هكذا كان الفن يقول .

وأيقظت تلك الكلمات (وحدى ، وحدى ...) اصداء حزينة فى ذهن برنارد . وقال برغبة مفاجئة لمشاركة شخص ما فى مشاعره : « .. وأنا كذلك ، وحيد للغاية » ..

ففال جون باندماش : « انت وحيد ؟ كنت اظنكم فى المكان الآخر .. اقصـــد ، ان ليندا كانت تقول لى دائما ، لا يوجد هناك أحد وحيد » .

احمر وجه برنارد بعدم ارتياح . **وقال فى صوت هامس تقريبـــا وهو يدير عينيـــه جانبا فى خجـــل :** « ذلك ، لأننى مختلف تماما عن معظم الناس ، على ما أعتقد . فلو حدث أى شىء عند معالجة شخص ما ، فانه يخرج من الزجاجة مختلفا » .

ـ « نعم ، بالضبط تماما ، وهز الفتى رأسه : « اذا كان الانسان مختلفا ، فبالتأكيد سيكون وحيدا . ويكونون فى منتهى القسوة معه . هل تعلم انهم سدوا كل الأبواب فى وجهى تماما ؟ فعندما أرســـل الأولاد الآخرون لقضـــاء ليلة فى الجبال .. وأنت تعرف ، خاصة عندما تحلم بحيوانك المقدس . لم يسمحوا لى بالذهاب معهم . لم يرغبوا فى احاطتى بأى سر من الأسرار . لكنى رغم ذلك ، تعرفت عليها بنفسى » . **ثم أضـــاف :** « لم آكل أى شىء لمدة خمســـة ايام ، وذهبت وحدى الى تلك الجبال هناك » وأشار اليها

وابتسم برنارد ابتسامة رثاء بسبب جهله وسذاجته . **وسأله :** « هل حلمت بأى شىء » ؟

هز الفتى رأسه وقال : « لكننى لا أستطيع أن ابوح لك به .

وحدثت فترة صمت لفترة ، **بعدها قال برنارد :** « أود أن أسألك ، عما اذا كنت ترغب فى العودة الى لندن ؟ » .. وقد بدأ الخطوة الأولى للخطة التى قرر أن ينفذها ، فقد عرف منذ اللحظة الأولى لدخوله البيت الصغير ، من يكون « والد » ذلك الشاب الهمجى . « هل تود ذلك » ؟

وأشرق وجه الفتى . « هل تعني ذلك حقيقة » ؟

ـ « بالطبع . لو استطعت الحصول على تصريح لك ، من حاكم العالم ، هذا كل ما فى الأمر » .

ـ « وليندا ، أيضا » ؟

ـ « يعنى ... » وتردد بنوع من الشك . تلك المخلوقة البشعة ! كلا ! ذلك غير ممكن . الا اذا ،

الا اذا ... وفجأة اتضح لبرنارد أن قبحها الشديد هذا من الممكن أن يكون مفيدا جدا . **وقال للفتى :** « أجل ، بالطبع ! » وهو يحاول أن يغطى على تردده الأول باظهار نوع من السعادة البالغة .

سحب الفتى نفسا عميقا وقال : « وحتى تصدق أن ذلك حقيقى فهذا ما حلمت به طيلة حياتى. أتذكر ما قاله ميراندا » ؟

ـ « **من هو ميراندا** » ؟

لكن كان من الواضح أن الفتى لم يسمع السؤال. **فقال :** « أوه ، شيء رائع ! » وأشرقت عيناه ، وتهلل وجهه **وقال :** « يا للناس الكثيرين الطيبين الموجودين هنا ! كم هو جميل الجنس البشرى » . وفجأة غاص لون وجهه ، فقد فكر فى لينينا ، فكر فى ملاك داخل زجاجة خضراء ، تشرق بالشباب والحيوية ، جسدها ملفوف ، ابتسامتها حلوة .

ـ « **أوه ، ياله من عالم رائع جديد** » قال ذلك

ثم توقف فجأة وامتقع لونه **وسأل برنارد** : « هل أنت متزوج بها » ؟

ــ « أنا ماذا » ؟

ــ « متزوج . اى مرتبط .. الى الأبد . فهم يقولون « الى الأبد » بالهندية . أى لايمكن فسخة » .

ــ « أوه ، كلا » .. ولم يستطع برنارد مغالبة الضحك . وضحك جون ايضا ، لكن لسبب آخر . ضحك بسعادة خالصة . **وأخذ يردد** : « يا له من عالم رائع جديد . يا له من عالم رائع جديد . ويا للناس الذين يعيشون فيه . دعنا نرحل على الفور .

فقال برنارد : « لك طريقة متميزة جدا فى الكلام » .. وهو يحملق فى الفتى بدهشة : « وعلى أية حال ، أليس من الأفضل أن تنتظر ، حتى ترى العالم الجديد بالفعل » ؟

تم التحميل من مكتبتي

تم التحميل من مكتبتي

الفصـــل التاســـع

أشارت عقارب الأربعة آلاف ساعة الموجود فى الأربعة آلاف حجرة بمركز « بلومزبرى » الى الثانية وسبع وعشرين دقيقة . كان المركز مليئا بالحيوية . الكل مشغول ، وكل شىء يجرى بشكل طبيعى . وكانت صفوف الزجاجات فوق السير المتحرك ، وفى داخل كل منها جنين ينمو .. تتتابع الواحدة بعد الأخرى ببطء ، لكنها تمر بالتأكيد بمراحل المعالجة المختلفة . وهناك فى غرفة أخرى كان يوجد أطفال جدد خرجوا لتوهم من الزجاجات ، يطلقون أول صرخـات الفزع والدهشـــة .

كان صـــوت المـاكينات المشحمة جيدا يرتفع بنعومة من الحجرات ، فى حين كانت المصاعد تندفع الى أعلى واسفل . وفى الدور الحادى عشر المخصص

كله لرعاية الأطفال كان وقت التغذية قد حل . فقد خرج ثمانمائة طفل من ثمانمائة زجاجة .. وعلى صدر كل منهم تذكرة بها كل التفاصيل الخاصة برتبته والمعلومات الأخرى الضرورية ، مدونة بعناية ، وكلهم يرضعون خلاصة اللبن الحر .

فى الأدوار العشرة ، فوق ذلك توجد عنابر النوم المخصصة للأولاد والبنات الصغار الذين لايزالون فى حاجة لفترة نوم بعد الظهر ، كانوا مشغولين مثل أى فرد آخر ، رغم انهم لا يعرفون ، بسماع الدروس من خلال برنامج التعليم أثناء النوم . فوق هذه الأدوار العشرة توجد حجرات اللعب ، حيث تبدل الجو الى ممطر ، وكان هناك تسعمائة طفل أكبر قليلا يسلون أنفسهم بقوالب الطوب والرمل والطين .

كانت الفتيات تغنين أمام الميكروسكوبات وأنابيب الاختبار فى حين كان رؤساء الأقسام يصفرون أثناء عملهم ، ومن حجرة الأطفال جاءت أصوات نكات وضحكات ! لكن وجه المدير كان متجهما ، عندما دخل حجرة الاخصاب يصحبه هنرى فوستر .

كان يقول : « وعلى سبيل المثال ، هـذه الحجرة لأنها تحتوى على عمال من الفئة الممتازة اكثر من أى قسم آخر فى المركز . لقد قلت له ان يحضر الى هنا فى الثانية والنصف . آه ! ها هو قد حضر » .

دخـل برنارد ، وتقـدم بين صفوف المتاضـد بجســارة ، تخفى الخـوف الذى كان يشـعر به . والصوت الذى قال به « صباح الخير ، أيها المدير » كان عاليا اكثر من اللازم . وعندما حاول أن يصحح خطـأه ومضى يقول : « لقد طلبت منى الحضـور لأتحدث معك هنا » كان صوته رقيقا جدا ، بل أقرب الى الهمس .

قال المدير ببرود : « اجل ، يا سيد ماركس . لقد طلبتك فعلا للحضور هنا . وأنا اعرف انك قـد عدت من اجازتك أمس » .

فأجاب برنارد : « أجـل » .

ـ « أجل » كررها المدير . ثم فجأة رفع صوته **وقـال :** « سيداتى سادتى ، سيداتى سادتى » .

توقفت الفتيات عن الغناء ورفعن رؤوسهن من على صف أنابيب الاختبار والميكرسكوبات . وعم صمت ثقيل . وتطلع كل فرد حوله .

وصاح المدير مرة ثانية : « سيداتى ، سادتى . انا آسف لتعطيل عملكم . ولقد أجبرنى على ذلك ، واجب قاس . ان أمن المجتمع فى خطر . نعم ، فى خطر ، أيها السيدات والسادة . فهذا الرجل » .. وأشار بأصبع اتهام الى برنارد « هـذا الرجل الواقف أمامكم هنا ، هذا ، الألفا الموجب ، الذى منحناه الكثير ، وبالتالى كنا نتوقع منه الكثير ، قد خان الثقة التى ألقيت على عاتقه . من خلال وجهات نظره الآثمة بالنسبة للرياضة والسوما ، وعدم تقديره المخزى لأسلوب حياته ، ورفضه الانصياع لتعاليم فورد ، وتصرفاته خارج نطاق ساعات العمل . (مثل طفل داخل زجاجة) » . وهنا قام المدير برسم علامة حرف

تى (T) ، لقد أثبت انه عدو للمجتمع ، ويمثل خطرا ، سيداتى سادتى .. بالنسبة لكل القوانين انه

رجل اقسم أن يحطم المدنية نفسها . ولهذه الأسباب: أقترح أن نطرده من الوظيفة التى احتلها فى هــذا المركز . وأقترح أن تطلبوا نقله فورا الى احد المراكز الاقليمية الأقل أهمية ، وهكذا يكون عقابه للصــالح العام للمجتمع ، ويتم ابعاده بأسرع ما يمكن عن أى تمركز مهم للســكان . ففى أيسلندا ســوف تكون فرصته قليلة ليقود الآخرين نحو الجريمــة بواسطة تمرده على فورد » .

توقف المدير عن الكلام وفرد ذراعيــه والتفت بوقار ناحية برنارد **وقــال له :** « ماركس ، هل بامكانك أن تقدم لنا مبررا يمنع تنفيذ هذا القرار ؟ » .

فقــال برنارد بصــوت عــال جدا : « نعــم بامكانى » .

فقال المدير وقد أخذ بعض الشيء لكنــه مازال محتفظا بوقاره : « اذن اعرضه علينا » .

ــ « بالتــأكيد . وهو موجود بالممر . لحظــة واحــدة » .

وأسرع برنارد ناحية الباب وفتحه على مصراعيه، وقال بلهجة آمرة : « ادخل » ودخل المبرر وعرض نفســـه .

وندت صيحة فزع ودهشـــة . وصرخت فتاة شابة . وكسر أحدهم أنبوبتى اختبار بمحتوياتهما : عنـدما اعتلى كرســيا لتتاح له فرصـــة مشاهــدة أفضــل .. فلقــد دخلت « لينــدا » الى الحجرة . سمينة ، أصابعها منفرجة وبدت صــورتها غريبــة مرعبة ، وسط تلك الأجساد الرشيقة الشابة وتلك الوجوه البشوشة ، دخلت وهى تبتسم ابتسامة جعلت ملامحها تتلوى فأظهر الفراغ الأسود لأسنانها المهشمة . وكان برنارد يسير الى جوارها .

وقــال : « ها هو » وأشار الى المدير .

فأجــابت لينــدا بغضب : « وهل تعتقد اننى لا اعرفــه ؟ » . ثم التفتت الى المــدير **وقــــالت :** «بالطبع أعرفك ، (ياتوماكين) . واستطيع التعرف عليك فى اى مكان ، من بين ألف . لكن من المحتمل

أن تكون قد نسيت . **الا تذكر ؟ الا تذكر** ، يا **توماكين حبيبتك ليندا ؟** » .

ووقفت تحملق فيه ، وراسها يميل على جانب ، فى حين بدأت ابتسامتها تتلاشى عندما رأت نظرة الاحتقار على وجه المدير : « الا تذكر ، ياتوماكين ؟ » ظلت تردد ذلك بصوت مرتعش ، وكانت عيناها تتسمان بالقلق والانزعاج . واكتسى وجهها بمسحة من الحزن العميق . ومدت ذراعيها الى الأمام **وقالت :** « توماكين » . وبدأ بعضهم يضحك .

ومضى المدير يقول : « ما معنى هذه الجريمة ؟ » .

ــ « توماكين ! » .. قالت ذلك واندفعت ناحيته وهى تجرجر ملاءتها خلفها ، والقت بذراعيها حول عنقه ، ودفنت وجهها فى صدره . ارتفعت موجة عالية من الضحك .

وصاح المدير : « هذه محاولة اجرامية من خلال نكتة عملية ؟ » .

وحاول جاهدا وقد احمر وجهه أن ينزع نفسه بعيدا عن ذراعيها . لكنها أمسكت به فى يأس **وقالت:** « أنا ليندا ، أنا ليندا » .. لكن الضحكات غطت على صوتها .. **لكنهـا صرخت بأعلى صـوتها حتى تتغلب على هـذه الضجـة :** « لقد جعلتنى أنجب طفلا ».. وعلى الفور خيم صمت مربك . ووقف الجميع بعدم ارتياح لا يعرفون الى أين ينظرون . وفجـأة شحب لون المدير ، وكف عن مقاومتهـا ، ووقف ويداه على رسغيها ويحملق فيهـا بفزع : « نعم ، طفل ــ وكنت أنا أمه » .. وابتعدت عنه وكلها خجل ، وعـار ، وغطت وجهها بيديها وشرعت فى البكاء . « لم تكن غلطتى ، ياتوماكين . لاننى كنت اتبع التعليمات دائما ، ألم أكن أفعل ؟ ألم أكن أفعل ؟ دائما .. وأنا لا أعرف كيف .. ؟ ولو تعلم كم كان ذلك فظيعا ، ياتوماكين .. لكنه بأى حال من الأحوال، كان عنصر راحة بالنسبة لى » .. ثم اتجهت ناحيـة الباب **ونادت :** « جون ، جون ! » .

دخل جون على الفور ، وتوقف للحظـة على

عتبة الباب ، وتطلع حواليه ، ثم سار بسرعة عبر الحجرة ، ثم ركع على ركبتيه أمام المدير ، **وقال في صوت واضح** : « أبى ! » .

ووضعت كلمة الأب نهاية لهذا الصمت المفاجىء الذى استقبل به عند دخوله . وانفجر الضحك ، وتكرر انفجاره حتى يخيل اليك انه لن يتوقف . « أبى » .. ومن يكون ؟ المدير ! **أبى** ! أوه فورد ! .. أوه فورد ! .. حقيقة كان الوضع مضحكا جدا ! وتعالت صيحات الضحك مرة ثانية ، وانهمرت الدموع من الوجوه التى تراقب الموقف . وانكسرت أكثر من ست أنابيب اختبار . **أبى** ؟ !

وحملق فيه المدير بوجه شاحب ، وعينين شرستين ، وهو فى منتهى الخزى ، والعجز .

أبى ! .. وانفجرت الضحكات ثانية بصوت أعلى وبطريقة لم تحدث أبدا ، بعد أن كاد يتلاشى . فوضع يديه على أذنيه واندفع خارجا من الحجرة .. !

تم التحميل من مكتبتي

تم التحميل من
مكتبتي

الفصل العاشر

بعد مشهد حجرة الاخصاب ، أصبحت كل الطبقات العليا فى لندن تتوق لرؤية ذلك المخلوق المرح الذى ركع على ركبتيه أمام مدير مركز التفريخ والتكيف .. أو بالأحرى المدير السابق ، ذلك أن الرجل المسكين استقال على الفور بعد ذلك الموقف ، ولم تطأْ له قدم أبدا داخل المركز مرة ثانية .. ركع على ركبتيه وناداه (أصبع الأمر من قبيل النكتة الحقيقية) أبى .. أما بالنسبة للينذا ، فلم يكن لها أدنى اهتمام من جانبهم . ولم يكن لدى أى شخص الرغبة فى رؤيتها فأن يقال بأن امرأة كانت أما .. فهذا ليس من قبيل النكتة ، بل شيئا يبعث على الاشمئزاز ، بالاضافة الى انها لم تكن همجية حقيقية . فقد استولدت داخل زجاجة وتم تكيفها مثل أى شخص آخر ، لذا لم تكن لديها أفكار غير عادية .

كما أن هناك مبررا آخر قويا فى عدم رغبة الناس لرؤيتها .. ألا وهو مظهرها .. فهى سمينة ، وفقدت شبابها ، وبشرتها كالحة ، وأسنانها فظيعة وشكلها (أوه فورد) .. ببساطة لا يستطيع الناس أن يتطلعوا اليها ، الا مع الشعور بالغثيان ، نعم ، الغثيان الحقيقى ، لذا فقد صمم فضلاء الناس ، على عدم رؤية ليندا . كما أن ليندا ، لم تكن ترغب من جانبها فى رؤيتهم . كانت عودتها للتحضر تعنى عودتها للسوما ، وامكانية الرقاد على السرير والحصول على اجازة بعد اجازة ، دون أن يعاودها الصداع ابدا ، أو الاحساس بالمرض .. وكذلك لن تكون فى مثل تلك الحالة التى كانت تنتابها بعد شرب الميسكال ، الذى يشعرك بأنك قمت بشىء مخجل لا تستطيع بعده أن ترفع رأسك ، لكن السوما لا تحدث مثل هذه الآثار اللعينة .

كانت الاجازة التى منحت لها كافية ، واذا كان الصحو منها غير مقبول ، فان ذلك لا يكمن فيها ، وانما فى المقارنة بالمرح والسعادة الذى يكمن فى

الاجازة . فكان العلاج ان تستمر الاجازة . وكانت تطلب بشراهه كميات كبيرة من السوما ، ولم يكن دكتور شو راغبا فى ذلك فى البداية ، لكنه تركها بعد ذلك تتناول ما تريد .. كانت تتناول ما يعادل عشرين جراما فى اليوم . أكثر بكثير من المعدل المعتاد .

وقال الدكتور لبرنارد فى ثقة : « سوف تقضى الحبوب عليها خلال شهر أو شهرين .. سوف يتوقف جهازها التنفسى عن العمل ذات يوم . لن يبقى فيها نفس .. تنتهى . وهناك شىء آخر . وهو اننا لا نستطيع أن نعيدها شابة ثانية . لاشىء يمكن فعله ! » .

ولدهشة الجميع ، فقد رفض جون هذا الأسلوب فى العلاج . (لأن اجازات تعاطى السوما ليست هى السبيل الصحيح) .

ـ « لكن ألا تعجلون بنهاية حياتها باعطائكم الكثير لها ؟ » .

واعترف دكتور شــو قائلا : « بمعنى من المعانى، اجل ، وبمعنى آخر نحن نطيل عمرها ! » .

وحملق فيه الشاب ، متحيرا .

وواصل الدكتور كلامه : « صحيح أن السوما تجعلك تفقد بضعة أعــوام من الزمن ، لكن فكر فى الفترات الرائعة التى يمكن أن تهبها لك ، خــارج اطار الزمن . وكل اجازة ســوما هى جزء مما كان الناس يسمونه فى القرون السابقة ، الخلود » .

وبدأ جون يفهم ، **وغمغم قــائلا :** « الخــلود كان فى اعيننا وعلى شفاهنا » .

ــ ماذا تقول ؟

ــ « لا شىء » .

واصل دكتور شــو كلامه قائلا : « وبالطبع ، لا يمكن أن تسمح للناس بمواصلة زياراتهم للخلود ، اذا كان لديهم اعمــال جادة يقومون بها ، أما بالنسبة لها فليس لديها اى عمل مهم .. » .

فجادله جون : « على اية حال ، انا لا أعتقد ان ذلك صحيح » .

فأشاح الدكتور بيده بنفاد صبر **وقال** : « هذا صحيح ، بالطبع ، اذا كنت تفضل ان تجعلها تصرخ فى جنون طوال الوقت » .

فى النهاية كان جون مجبرا على الاستسلام . ومنذ ذلك الوقت ظلت ليندا فى غرفتها الصغيرة بالدور السابع والثلاثين بشقة برنارد ، تتناول كميات السوما المقررة فى صحبة الراديو والتليفزيون واقراص السوما فى متناول يدها .

كان جون ، هو الذى يريد الجميع رؤيته . ولما كان ذلك لا يتم الا من خلال برنارد ، فقد أصبح برنارد مشهورا لأول مرة فى حياته .

كان الجميع يحاولون الحصول على دعوات لحضور حفلاته المسائيةلمقابلة الهمجى ، وقد قال لصديقة هيلمولتز واتسون ، انه بامكانه ان يحضر اى عدد من الفتيات لمجرد أن يتجمهرن حول شقته .

قال برنارد وهو يشير الى اعلى : « اخف من الهـواء » .

وكان بالون قسم الارصاد الجوية ، مثل اللؤلؤة فى السـماء عاليـا ، عاليـا فوقهم ، يشـع بألوان قرمزية تحت اشعة الشمس .

ـ « ينبغى على الهمجى ان يرى الحياة المتحضرة بكل عنـاصرها » .. هـكذا كانت تقضى تعليمـات برنـارد .

جعلوه يشاهد المنظر العام للمدينة من أسفل ، ثم جعلوه يشاهده من اعلى برج تشارنج تى . وكان مدير محطـة الاختبارات الجوية ومسـاعده يقومان بدور المرشد . فى حين كان برنارد يقوم بالشرح كله . كان يتصرف وكله زهو ، كما لو أنه على أقل تقدير ، حاكم العالم يقوم بزيارة .. كان أخف من الهواء .

هبط صـاروخ بومباى الأخضر من السـماء . ونزل المسافرون من الصاروخ . ومن خـلال ثمانى

نوافذ فى حجرة القيــادة تطلع ثمانيــة افراد يرتدون الكاكى وكلهم متشــابهون .. هم طاقم المضيفين .

قــال مدير المحطــة بزهو : « يقطع اثنى عشر الفا وخمسين كيلو مترا فى الساعة . ما رايك فى ذلك أيها السيد الهمجى ؟ » .

فكر جون مليا وقــال : « مازال فى اســتطاعة العفريت آريل أن يلف حول العالم فى أربعين ثانية » .

وقــد كتب برنــارد فى تقريره الى « مصطفى مونــد ») بأن الهمجى يبــدى قليــلا من الانبهــار والاعجاب ، بالمخترعات الحضارية . وهــذا يعود : بلاشك ، الى أنه سمع عن هذه المخترعات من خلال « ليندا » والدته) .

(**قطب مصطفى موند جبينه وقال :** هل يعتقد ذلك الأحمق اننى سأصــدم بتلك الكلمــات المكتوبة بالخط العريض ؟) .

« خاصة إهتمامه الذى يتركز حول ما يســميه

(الروح) التى يعتبرها شيئا منفصلا كلية عن الجسد ، بالرغم من اننى حاولت ان اشير عليه » .

والقى الحاكم نظرة سريعة على الجمل التالية ، وكان على وشك أن يقلب الصفحة بحثا عن شيء اكثر تحديدا ، واكثر تشويقا ، عندما وقعت عيناه على بعض الجمل الغريبة تماما . فقرأ : « رغم اننى اعترف باتفاقى مع الهمجى فى وجهة نظره بأن الطفولة المتحضرة شيء سهل جدا ، او كما يراها هو ، وليست مكلفة للغاية ، الا اننى اود أن انتهز هذه الفرصة لألفت نظر الهكم فورد الى ... » .

وانقلب غضب مصطفى موند الى نوع من المرح . ففكرة ان هذا المخلوق يعلمه ــ يعلمه ــ المواضعات الاجتماعية كانت فى منتهى الغرابة حقيقة . لابد أن الرجل قد جن . وقال لنفسه : « لابد أن القنه درسا » . واخذ يضحك بصوت عال . لابد أن يلقن الدرس فى النهاية .

كتب برنارد : « ان الهمجى ، يرفض تناول

« السـوما » ، ويبدو مهموما بسبب تلك المرأة ، ليندا ، والدته .. لأنها ما زالت فى اجازتها الدائمة . ومن الجـدير ملاحظـة ذلك ، بالرغم من الحـالة الذهنية الضعيفة لوالدته .. وقبح منظرها الشديد . والهمجى يذهب لزيارتها بصفة دائمة ويبدى ارتباطا شديدا بها .. وهـذا مثال ظريف للطريقة التى يمكن بها تعديل التكيف المبكر وينفذ بطريقـة معاكسـة للفرائز الطبيعية (فى هـذه الحالة تنسحب الفرائز الطبيعية من التصرفات غير السارة) .

دخلت لينينا غرفـة اسـتبدال الملابس وهى تغنى .

فقالت فانى : « تبدين سعيدة جدا بنفسك » .

فأجابت : « أنا سعيدة ، لأن برنارد اتصـل تليفونيا من نصف سـاعة ، أخبرنى أن لديه مهمـة مفاجئة ، وطلب منى أن أصحب الهمجى الى السينما هـذا المساء . ولابد أن أسرع » .. وجرت ناحيـة الحمـام .

ـ « انها فتاة محظوظة » .. قالت فانى ذلك لنفسها وهى تراقب لينينا وهى تذهب .

اخذت لينينا والهمجى ينصتان الى الموسيقى المنبعثة من الأورج الكهربائى ، وهما غارقان فى كرسين وثيرين داخل السينما .. وسرعان ما تلاشت الأضواء وبدأ الفيلم ، بالألوان الطبيعية ، وشخوصه أكبر بكثير من الحجم الطبيعى .

كانت قصة الفيلم فى منتهى البساطة . بعنوان « ثلاثة اسابيع داخل هليوكوبتر » . سقط شاب زنجى من طائرة هليوكوبتر على رأسه ، فأصيب بالجنون ، وفقد السيطرة على مشاعره . ووقع فى حب فتاة شقراء جميلة من فصيلة بيتا موجب .. ورفضت الاستجابة له أو فعل اى شىء فأمسك بها ، ودفع بها داخل طائرته الهليوكوبتر رغم مقاومتها وطار الى السماء وظل محتفظا بها ثلاثة أسابيع . وهو يحاول أن يجعلها ترضخ لعواطفه . أخيرا ، وبعد عدة مغامرات تضم بعض المشاهد المثيرة فى

الهواء ، استطاع ثلاثة شبان من فصيلة الفا ، انقاذها . وأرسل الزنجي لمركز اعادة التكيف . وانتهى الفيلم بشكل مناسب ومقبول .. وتلاشت المشاهد وأضيئت الأنوار وانبعثت الموسيقى تملأ قاعة السينما مرة ثانية . وهكذا انتهى العرض .

لم تكن نهاية الفيلم هى النهاية بالنسبة للينينا . فبينما كانا يتحركان ببطء مع الجمهور تجاه المصاعد ، كانت ما تزال تشعر بالعواطف التى أيقظها فيها الفيلم . احمرت وجنتاها ، ولمعت عيناها واخذت تتنفس بعمق . فتعلقت بذراع الهمجى وضغطت به على جنبها . فتطلع اليها للحظة ، وهو شاحب ، متألم ، وكله رغبة لكنه خجل من رغبته . فلم يكن متهيأ بما فيه الكفاية ، وليس .. والتقت أعينهما للحظة . وكم فيهما من اغراء ! وتتبدى فيهما العاطفة . وبسرعة نظر بعيدا ، وحرر ذراعه من قبضتها . فقد كان يخشى أن يكون قد أساء الفهم تماما . وانتابه احساس ما ، أنها ربما تكف عن صداقته ، وهو لا يريد لذلك أن يحدث .

فقال : « أنا لا أعتقد أنه ينبغى عليك أن ترى الأمور على هذا النحو » .

ــ « على اى نحو يا جون ؟ » .

ــ « على نحو ذلك الفيلم الفظيع » .

ــ « فظيع ؟ » اندهشت لينينا جدا ، **وقالت :** « لكننى ارى انه فيلم رائع » .

ــ « بل فيلم مخجل » . **قال ذلك بغضب واردف :** « بل مقزز » .

هزت رأسها وقالت : « لا أعرف ماذا تقصد ؟ » .

لم هو غريب الأطوار هكذا دائما ؟ ولماذا يفسد كل الأشياء دائما ؟ .

داخل التاكسى الهليوكوبتر كان ينظر اليها بصعوبة . فقد كان مقيدا بعهود قوية لم يصرح بها ابدا ، ومطيعا للقوانين التى توقف مفعولها منذ فترة

طويلة ، وجلس فى صمت ، ورأسه ملتفتة بعيدا عنها .

وهبط التاكسى الهليوكوبتر فوق سطح عمارة لينينا السكنية . « أخيرا » .. فكرت بمرح وهى تخرج من التاكسى . اخيرا .. رغم انه كان غريب الأطوار جدا حتى الآن . تطلعت فى مرآة يدها ، وهى واقفة تحت أحد المصابيح . أخيرا . انفها فى حاجة الى قليل من البودرة . فاخرجت البدارة من علبة البودرة . بينما كان هو يحاسب سائق التاكسى .. كانت هناك فرصة أمامها . وبلمت الجزء اللامع من أنفها وفكرت : « ان منظره جميل جدا . لا حاجة به لأن يخجل مثل برنارد رغم .. أن أى رجل كان يمكنه فعلها منذ فترة . والآن ، جاءت الفرصة أخيرا » . وفجأة ابتسم لها الجزء الذى تراه من وجهها فى المرآة .

ــ « ليلة طيبة » نطق بها صوت من خلفها ملىء بالضيق . والتفتت لينينا بحدة . فوجدته

واقفا داخل باب التاكى الهليوكوبتر ، وعيناه ثابتتان ، محملقتان . من الواضح انه كان يتطلع اليها طيلة الوقت الذى كانت تنثر فيه البودرة على انفها ـ منتظرا ـ لكن لماذا ؟ او مترددا ، يحاول ان يستقر على رأى ، وهو يفكر ويفكر ـ طوال الوقت ـ فى انها ربما لا تتخيل ما يعتريه من افكار غريبة . **وقال لها ثانية** : « ليلة طيبة ، يا لينينا » وبذل مجهودا يائسا غريبا لكى يبتسم .

ـ « لكن ، جون .. كنت أعتقد انك سوف .. أقصد ، الن .. ؟ » .

أقفل الباب وانحنى على السائق يقول له شيئا . وارتفعت الطائرة بسرعة فى الهواء .

عندما تطلع الهمجى من النافذة الى أسفل ، استطاع ان يرى وجه لينينا متطلعا الى أسفل ، شاحبا تحت ضوء المصابيح . كان فمها مفتوحا ، تنادى . وتلاشى شكلها بعيدا عنه . وغدا مربع سطح

العمارة أصغر وأصغر وهو يتراجع الى اسفل فى الظلام .

بعد خمس دقائق كان فى حجرته . وأخرج من مكان امين ، كتابه القديم البالى ، وشرع يقلب صفحاته المتهرئة بحرص ، وبدأ يقرأ مسرحية **عطيل .. تذكر** أن عطيل ، مثل بطل فيلم « ثلاثة أسابيع فى هليوكوبتر » .. لأنه أسود .

سارت لينينا عبر السطح الى المصعد ، بعد أن جففت عينيها . وفى طريقها الى الدور السابع والعشرين فى أسفل ، أخرجت زجاجة أقراص السوما . وقررت أن جراما واحدا لن يكون كافيا . فتجربتها التعسة ، كانت تتطلب أكثر من جرام واحد . لكنها اذا تناولت جرامين ستكون مخاطرة ، يمكن بسببها الا تستيقظ فى الوقت المحدد صباح الغد . وقررت أن تتجنب الحدين الأقصى والأدنى ، وتناولت من راحة يدها اليسرى ثلاث حبات سوما من وزن النصف جرام !

تم التحميل من مكتبتي

الفصل الحادى عشر

تحتم على برنارد أن يصيح بصوت عـال من خلال البـاب المغلق . لأن الهمجى لا يريد أن يفتح البـاب .

ـ « لكن الجميع هناك ، ينتظرونك » .

ـ « دعهم ينتظرون » .. جاء الرد بصـوت واهن خلال الباب .

ـ « لكنك تعرف تماما . يا جون ، أننى دعوتهم بغرض رؤيتك » .

ـ « كان يجب عليك أن تسألنى أولا ، اذا كنت أريد مقابلتهم أم لا ! » .

ـ « لكنك دائما كنت تحضر قبل ذلك » .

تم التحميل من مكتبتى

ـ « أجل ، وذلك بالضبط ، ما يجعلنى لا اريد الذهاب ثانيـــة » .

وحــاول برنارد اقناعه .. لكن لم يكن الأمر سهلا من خلال باب مغلق .. « لمجرد أن تسعدنى . ألا تريد الحضور لاسعادى ؟ » .

ـ « كــلا » .

ـ « هل تعنى ذلك حقا ؟ » .

ـ « نعــم » .

ـ « لكن ، ماذا يتحتم على أن أفعل الآن ؟ » صرخ برنارد فى يأس :

ـ « فلتذهب الى الجحيم ! » .. صـــاح جون بصوت غاضب من الداخل .

باءت كل محاولات برنارد بالفشــــل ، لحمل جون على الخروج . فى النهاية تحتم عليه ان يعود الى بيتــه ويخبر كل ضيوفــه المنتظرين هنـــاك فى

شوق ، بأن الهمجى لن يظهر هذا المساء . فغضبوا غضبا شديدا . وشعروا بانهم قد خدعوا بتصرفات ذلك البرنارد القليل الأهمية وسمعته المشكوك فيها وآرائه الاجتماعية المضادة .

انزوت لينينا منعزلة فى ركن ولم تتكلم . جلست ، شاحبة الوجه ، وعيناها الزرقاوان مليئتان بحزن غير عادى ، وانفصلت عن كل الذين حولها ، باحساس غريب لم يشاركها فيه أحد . لقد حضرت الى هذه الحفلة وقد تملكها احساس غريب ، مزيج من القلق والمرح . فقد قالت لنفسها عندما دخلت الحجرة : « خلال دقائق قليلة ، سوف أراه واتحدث اليه ، وافضى اليه » . (لأنها حضرت وقد قررت) . « أنا احبه .. أكثر من أى انسان آخر عرفته . ومن المحتمل ان يقول لى ... » .

ـ « ماذا كان يمكن أن يقول ؟ » واندفعت الدماء الى وجنتيها .

« لماذا كان تصرفه غريبا فى تلك الليلة ، بعد

السينما ؟ .. غريبا جدا . ورغم ذلك فأنا على ثقة تامة من أنه يحبنى جدا . أنا متأكدة » .

فى تلك اللحظة كان برنارد قد أعلن أن الهمجى لن يحضر الحفلة .

واعترى لينينا احساس فظيع بخيبة الأمل والخواء . وبدا كما لو أن قلبها سيتوقف عن الدق .

ـ « ربما لأنه لا يحبنى » . قالت ذلك لنفسها. وعلى الفور نما هذا الاحتمال داخل ذهنها وتحول الى يقين . لقد رفض جون الحضور لأنه لا يحبها . لا يحبها ...

كان الجميع من حولها يناقشون رفض الهمجى للحضور بغضب ، ويلومون برنارد على كل هذا الخطأ الذى حدث . وسرعان ما انصرف الضيوف الواحد تلو الآخر .

كانت لينينا آخر المنصرفين ، وسارت حزينة خارج الغرفة . وبقى برنارد وحده . واستولت عليه

حالة من الاحباط وخيبة الأمل ، فارتمى على كرسى ، وغطى وجهه بيديه وشرع فى البكاء .

أما الهمجى ، فقد جلس فى غرفته بأعلى يقرأ مسرحية « روميو وجولييت » .

فى صباح اليوم التـالى ، لم يستطع برنارد ان يخفى عن الهمجى مدى ما شعر به من حزن . وابدى الهمجى نوعا من التعاطف معه ، لم يكن يتوقعه برنارد . وقال له وهو يبدى له كل اسفه : « أنت مازلت كما كنت فى مالبيز . أتذكر عندما تكلمنا لأول مرة ؟ خارج البيوت الصغيرة . انت مازلت كما كنت هناك ! » .

ــ « لاننى غير سعيد ، هذا هو السبب » .

ــ « حسن ، لكم أود أن أكون غير سعيد ، على أن أنال تلك السعادة الزائفة الكاذبة التى تنالونها هنا » .

فقال برنارد بمرارة : « أنا مندهش من أمرك . لأنك تقول ذلك ، خاصة وقد كنت السبب فى كل ما حدث . عندما رفضت الحضور الى الحفلة وجعلت الجميع ينقلبون ضدى ! » .. كان يعرف ان ما يقوله ليس عدلا . واعترف لنفسه بصحة كل ما قاله الهمجى الآن عن عدم جدوى الأصدقاء الذين ينقلبون الى أعداء قساة لأتفه الأسباب . وظل برنارد يشعر تجاه الهمجى ، بغضب خفى ، رغم ما يكنه له من تعاطف حقيقى .

كان صديق برنارد الآخر هلمولتز واتسون ، يعانى مثله من العزلة ، والأفكار غير المتوافقة . ولقد سبق تحذير هلمولتز رسميا بسبب بعض الأشعار التى نظمها وقرأها لطلبة كلية الهندسة العاطفية ، باعتبارها شيئا خطيرا ولا ينبغى تكراره . كان الشعر يمتدح الصمت ، صمت الانسان عندما يكون وحيدا ويستطيع ان يستمتع بأفكاره ومشاعره . وقدم الطلبة تقريرا عنه للمسئولين . **وقال برنارد** : « أنا لست مندهشا ، فهذا ضد كل أساليبهم

التعليميــة تماما . خاصــة اســلوب التعليم اثنــاء النوم » .. وتذكر أن لديهم ربع مليون تحذير على الأقل ضد التفرد .

ــ « اعرف . لكننى أود أن أرى مــاذا يكون رد الفعل » .

ــ « حسن ، لقد رأيته الآن » .

ضحك هلمولتز **وقال بعد فترة :** « اشعر ، كما لو اننى قد بدأت كتابة شيء عن هذا الأمر ، الآن . كما لو اننى قد بدأت استخدام تلك القوة السحرية التى تكمن داخلى . هناك شيء يجتاحنى » .

وبالرغم من كل متاعبه ، فقد أحس بأن برنارد يشعر بسعادة عميقة .

أعجب كل من هلمولتز والهمجى ببعضهما على الفور . فقد كان هلمولتز يقرأ عليــه أشــعاره التى تلقى بسببها تحذيرا من المسئولين . وكان الهمجى يرد عليــه ببعض ســطور من كتابه القديم الذى اثــار

اعجاب هلمولتز بطريقة لم يسبق لها مثيل من قبل ، لكن هلمولتز لم يستطع ببساطة فهم حكايـة روميو وجولييت عندما قرأها عليه جون بعاطفة جياشة . (حيث كان يرى نفسه طول الوقت « روميو » ولينينا « جولييت ») .

وانفجـر هلمولتز ضاحـكا لقـرار الأب والأم (وهذه كلمات مقززة فى حد ذاتها) لاجبار الابنة على الارتباط بشخص لا تريده ! وتلك الفتـاة البلهـاء التى لا تستطيع أن تصرح بأن لديها شخصـا آخر (بغض النظر عن اى شيء) تفضله . كان الموقف فى منتهى السوء . وفى نفس الوقت فى منتهى الطرافة ، لدرجة أن هلمولتز ظل يضحك حتى انهمرت الدموع على خديه . فنظر اليه الهمجى فى غضب ، واغلق كتابه ، ونهض من على كرسيه ، ووضعه فى الدرج واغلقه عليه .

ـ « رغم ذلك » .. قال هلمولتز ذلك عندما استطاع ان يلتقط أنفاسه ليعتذر ، وحاول أن يقنع الهمجى ليصغى الى تفسيره . « فأنا أعلم تماما بأن هذا الموقف المستحيل ، يحتاج الى مجنون لكى يكتبه . وحقيقة لا يستطيع الانسان أن يكتب بشكل جيد عن أى شىء آخر لكن لماذا حقق ذلك المؤلف القديم تلك الشهرة الكبيرة ككاتب ؟ لأنه كان يمتلك مشاعر حقيقة قوية ، وأفكارا كثيرة غريبة ، حتى ينفعل بها . أعلم انك تضايقت وتألمت . والا فلن تكون لديك القدرة للتفكير فى الجمل الحقيقية الجيدة ، تلك التى تثير انتباه الذهن والقلب وتعيش فى الذاكرة . لكن مسأله الآباء والأمهات ! فأعتقد أنك لا تتوقع منى ان أكون جادا بخصوصها .. ومن ذلك الذى سيهتم ، اذا كان الشاب قد حصل على الفتاة أم لم يحصل عليها ؟

(فأجفل الهمجى ، لكن هلمولتز الذى كان ينظر

الى الباب متأملا لم ير شيئا) ثم قرر وهو يتنهد :
« كلا ، ذلك لا يناسبنا . نحن نريد نوعا آخر من الجنون ، نوعا آخر مختلفا من العواطف ، حتى تسيطر على عقولنا ، ونكون متحكمين فى خيالنا . لكن كيف ؟ وأين يمكن ان اجده ؟ » .

قال ذلك وسكت . ثم هز راسه وقال اخيرا :
« لا أدرى ، لا أدرى » . . .

تم التحميل من مكتبة

الفصل الثانى عشر

ظهر هنرى فوستر الى جوار لينينا تحت الاضاءة الحمراء فى مخزن الأجنة . « أتودين الذهاب معى الى السينما هذا المساء ؟ » .

هزت لينينا رأسها دون أن تتكلم :

ـ « هل ستخرجين مع أى أحد آخر ؟ » .. كان يهمه ان يعرف أيا من أصدقائه تفضله على الآخرين . **فسألها : « أهو برنارد ؟ »** .

ـ فهزت رأسها مرة ثانية .

لاحظ هنرى أنها مجهدة للغاية ، برغم ضعف الاضاءة .

ـ « ارجو الا تكونى مريضة ؟ » .. سألها

بقلق زائد ، وكان يخشى أنها ربما تعانى من أحد الأمراض القليلة المتبقية .

فهزت لينينا راسها ايضا .

ـ « على أى الأحوال يجب ان تذهبى للطبيب » .. ثم أضاف بابتهاج مستخدما مثلا لا يفشل فى رفع معنويات الناس : « طبيب اليوم ، يبعد عنا المرض واللوم » .

ـ « اوه بحق فورد ! الا تسكت ! » .. قالت لينينا ذلك أخيرا وحطمت حاجز صمتها . ثم اتجهت ناحية منضدة عملها .

ـ « يقول ان أذهب الى طبيب ! » كان من المفروض أن تضحك لولا أنها كانت على حافة البكاء .. لا يستطيع طبيب أن يشفيها مما هى فيه . وتنهدت بعمق **وتمتمت لنفسها** : « انه جون ، جون .. ! » .

بعد مضى ساعة ، وفى حجرة تغيير الملابس ، **كانت فانى تعترض بصوت عال** : « لكنه من الحماقة

أن تدعى نفسك لتصبحى فى مثل هذه الحالة » ..
ثم كررت : « منتهى الحماقة ، ومن اجل من ؟ رجل ـ رجل واحد ؟ ! » .

ـ « لكنه الرجل الذى أريده » .

ـ « وكأنه لا يوجد ملايين الرجال الآخرين فى العالم ! » .

ـ « لكنى لا اريدهم » .

ـ « وكيف يتسنى لك أن تعرفى ، اذا كنت لم تحاولى ؟ » .

ـ « لقد حاولت »

ـ « مع كم ؟ » .. سألتها فانى : « رجل ؟ اثنان ؟ » .

ـ « مع العديد » قالت وهى تهز راسها : لكن بلا فائدة » .

فقالت فانى : « اذن ، استمرى فى المحاولة ولا تفكرى فيه » .

ـ « لا أستطيع » .

ـ « اذن ، تناولى حبوب السوما » .

ـ « أتناولهـا » .

ـ « حسن ، استمرى فى ذلك » .

ـ « لكن خلال فترات الراحة من تناول الحبوب أجدنى مازلت أحبه . سأظل دائما أحبه » .

فقالت فانى فى حسم : « حسن ، اذا كان الأمر كذلك ، فلماذا لا تذهبين اليه وتنالينه . سـواء كان يرغب أم لا » .

ـ « لكنه غريب الأطوار جدا » .

ـ « وهـذا مبرر كاف لتكونى حاسـمة مع نفسـك » .

ـ « من السهل قول ذلك » .

فقالت فـانى : « لا تتركيـه .. وخـذى المبـادرة ! .. اجـل تصرفى فـورا .. قومى بذلك الآن » .

قالت لينينا : « لا اجرؤ » !

ــ « حسن ، ينبغى عليك أن تتناولى نصف جرام من السوما أولا . سأذهب لآخذ حمامى » .. ومضت ومنشفتها على كتفها .

* * *

دق الجرس . وقفز الهمجى مندفعا ناحية الباب ، فقد كان فى انتظار حضور هلمولتز بفارغ الصبر ليحكى له عن مشاعره تجاه لينينا .

وصاح وهو يفتح الباب : « كنت أظن أنك هلمولتز » .

فى مدخل الباب كانت تقف لينينا ترتدى زيا بحريا ابيض من القطن ، وعلى رأسها قبعة بيضاء تميل بزاوية رائعة .

وشهق الهمجى « أوه » كما لو أن أحدا ضربه بشدة .

كان نصف الجرام كافيا لأن يجعل لينينا تنسى

خوفها . وقالت وهى تبتسم : « هاللو ــ جون » وعبرته الى داخل الغرفة . أغلق الباب وتبعها . جلست لينينا ، وحدث صمت طويل .

وفى النهاية قالت : « أنت لا تبدو سعيدا جدا لرؤيتى يا جون » ؟

فصاح الهمجى باحساس جياش : « لا ابدو سعيدا ؟ » .. ثم ركع فجأة على ركبتيه أمامها ، وأمسك يدها وقبلها وقال : « أنا أحبك أكثر من أى شىء فى الوجود ! » .

ــ « اذن لماذا لم تقل لى ذلك من قبل ؟ » .. وفجأة أحاطته بذراعيها . واخذت تقول له : « أيها الأحمق ! لكم اشتقت اليك كثيرا ! . يا حبيبى ، يا حبيبى .. وطالما كنت انت تشتاق الى ، فلماذا لم ... ؟ » .

فى هذه اللحظة تذكر الأحداث فى فيلم « ثلاثة أسابيع فى هليوكوبتر » . وأصيب بفزع ، بفزع شديد .. وحاول أن يحرر نفسه من ذراعيها .

فابعدت لينينا ذراعيها عنه ووقفت . وتصور للحظة أنها أدركت ما يشعر به . لكنه سرعان ما اكتشف انه كان مخطئا .

قالت لينينا وهى تلقى بذراعيها على كتفيه :

ـ « لكم أحبك يا عزيزى ! » .

أمسك الهمجى برسغيها ، وابعد يديها من فوق كتفيه ، ودفعها بخشونة بعيدا عنه .

ـ « آه ، انت تؤلمنى ، انت .. آه » . ثم سكتت فجأة . فقد نسيت الألم من فرط فزعها . وعندما فتحت عينيها ، ورأت وجهه ـ كلا .. ، ليس هذا وجهه ، بل كان وجها شاحبا مجنونا ، مجعدا ، مليئا بجنون متهور .

حاولت أن تفهم السبب الذى جعل وجهه يكتسى بهذا الجنون ، لكنها فشلت تماما . **وهمست قائلة :** « ماذا حدث يا جون ؟ » . لم يجب ، لكنه حملق فقط فى وجهها بهاتين العينين المجنونتين .

وكانت يداه اللتان أبعدتا وسفيها ترتعشان ، ويتنفس بعمق واضطراب . وفجأة سمعت اصطكاك أسنانه . وبصوت أقرب الى الصراخ **سألته** : « ماذا حدث ؟ » .

وكما لو أنه قد استيقظ على صرختها ، فأمسك بها من كتفيها **وأخذ يهزها وهو يصرخ** :

ـ « الضعف ، اسمه المرأة ! » ودفعها بقوة شديدة حتى انها سقطت على الأرض . وصاح وهو يقف بقربها « اذهبى ، اغربى عن بصري والا قتلتك » .

رفعت لينينا ذراعها فوق وجهها **وقالت** : « كلا ، ارجوك ، كلا ، يا جون » ..

ـ « هيا أسرعى » !

وبعين مرتعبة ، وقد ظل ذراعها مرفوعا ، أخذت تراقب حركته ، ونهضت بصعوبة على قدميها ، واندفعت بسرعة ناحية الحمام وهى مازالت تحمى وجهها .

أخذ الهمجى يذرع الغرفة جيئة وذهابا فى غضب . وهو يردد : « الضعف . الضعف امرأة » .

وراحت لينينا تصغى الى وقع خطواته ، وتتساءل وهى تصغى ، الى متى سيظل يروح جيئة وذهابا على هذا النحو ، وهل يتحتم عليها أن تنتظر حتى يغادر الشقة ، أم من الأسلم أن تترك لجنونه الوقت المعقول حتى يهدأ ، وبعدها تفتح الحمام وتحاول الهرب ، فى تلك اللحظة دق جرس التليفون فى الحجرة .. وسمعت صوت الهمجى يتكلم :

– « هاللو » .

– ....

– « اجل » .

– ....

– « نعم الهمجى هو الذى يتكلم » .

– ....

ـ « ماذا ؟ من مريض ؟ بالطبع يهمنى » .

ـ ....

ـ « لكن : هل الحالة خطيرة ؟ هل حالتها سيئة ؟ سأحضر حالا » .

ـ ....

ـ « ليست فى حجرتها ؟ الى اين أخذوها » ؟

ـ ....

ـ « أوه ، يا الهى ! ما العنوان » ؟

ـ ....

ـ « ثلاثة بارك لين » ـ أهو كذلك ؟ ثلاثة ؟ شكرا » .

سمعت لينينا صوت سماعة التليفون وهى توضع ، ثم خطوات مسرعة . وبابا يغلق بشدة . ثم عم سكون . هل انصرف حقيقة ؟

فتحت الباب بحذر شديد لمسافة ربع بوصة ، ونظرت من خلال الفتحة ، وتشجعت أكثر ، بسبب الهدوء ، واطلت براسها ، واخيرا تسللت داخل الحجرة بهدوء ، ووقفت اللحظات وقلبها يدق ، تتصنت ، وتتصنت ، ثم اندفعت الى الباب الأمامى ، فتحته ، وانسلت من خلاله ، واغلقته بعنف ، واخذت تجرى . ولم تشعر بالأمان الا عندما أصبحت داخل المصعد وهو ينزل بها .

مكتبة

الفصل الثالث عشر

كانت مستشفى بارك لين للموتى عبارة عن برج من الطوب الأصفر اللون يتكون من ستين دورا ، عندما خرج الهمجى من التاكسى الهليوكوبتر ، كان هناك سرب من طائرات دفن الموتى ذات اللون الجنازى تنطلق من على السطح واتجهت ناحية بارك ، تجاه الغرب ، فى طريقها الى محرقة الجثث .. وعند بوابات المصعد أعطاه الموظف الرسمى المعلومات التى طلبها ، وهبط الى الدور السابع عشر ، كان الجناح الذى ترقد فيه ليندا عبارة عن عنبر كبير مشرق بضوء الشمس جدرانه مدهونة باللون الأصفر . ويحتوى على عشرين سريرا ، كلها مشغولة . كانت ليندا تموت فى صحبة .. صحبة كل وسائل الراحة الحديثة . كان الهواء يتجدد بشكل مستمر ، مع ألحان مرحة تصدر من السماعات . وعند مؤخرة

كل سرير ، فى مواجهة المحتضر الذى يشغله ، جهاز تليفزيون ، كان يترك مفتوحا مثل صنابير المياه منذ الصباح وحتى آخر الليل .

قالت المرضة التى قابلت الهمجى عند الباب : « نحن نحاول ان نخلق جوا مريحا تماما هنا .. شىء مشترك بين فنادق الدرجة الأولى ، وقصور السينما اذا كنت فهمت ما أعنى ! » .

ـ « أين هى ؟ » .. سأل الهمجى ، دون أن يعير ذلك الشرح المهذب التفاتا .

تضايقت الممرضة وقالت : « أنت فى عجلة » .

فسألها : « هل هناك اى أمل ؟ » .

ـ «تقصد ، فى الا تموت ؟ » (هز رأسه) .. كلا ، بالطبع لا يوجد أمل . عندما يرسل شخص الى هنا ، فليس هناك » .. ولانزعاجها الشديد من مسحة الحزن التى كست وجهه **سألته :** « لم كل

هذا ، مهما حدث ؟ . ذلك انها لم تتعود على مثل تلك الأمور من الزوار (لأنه لم يكن يوجد زوار كثيرون بأى حال ، او اى مبرر لوجودهم) « هل تشكو من اى شيء » ؟

هز راسه ، وقال فى صوت منخفض : « انها امى » !

تطلعت اليه الممرضة فى فزع ، ثم نحت نظرها بسرعة ، واحمر وجهها جدا من عدم الارتياح .

ـ « خذينى اليها » .. قال ذلك وهو يبذل جهدا لكى يتكلم بشكل عادى .

قادته إلى العنبر ، ومازال وجهها محمرا جدا . كانت ليندا نائمة فى آخر سرير من صف طويل . عيناها مغلقتان . واكتسى وجهها الشاحب المتورم بمسحة من الغباء والسعادة البلهاء .

انصرفت الممرضة ، وجلس الهمجى بجوار السرير .

همس اليها وهو يمسك يدها : « ليندا » !

وعند سماع اسمها التفتت . وانفتحت عيناها، واستقرتا عليه ، كما لو أنها تعرفت عليه ، ضغطت على يده ، وارتسمت ، وتحركت شفتاها ، ثم فجأة تماما تدلت رأسها الى الأمام . نامت . جلس يرقبها ، يتذكر والدموع فى عينيه حياتهما فى معسكر العزل ، خاصة كل تلك الحكايات التى كانت ترويها له عن المكان الآخر ، وجمال ذلك المكان الآخر ، وتلك الأشياء من مثل السماء والخير والحب . كانت ما تزال منتعشة فى ذهنه ، ولم تفسد ، باتصاله بخيبة الأمل الحقيقية التى لقيها فى لندن ، ومع هؤلاء الرجال والنساء المتحضرين .

قطعت أفكاره بوصول مجموعة من الأطفال الزائرين المزعجين ، الذين أحضرتهم رئيسة الممرضات لمشاهدة الأشخاص الذين يموتون ، كجزء من تدريبهم على التكيف ، ليعودوهم على فكرة الموت . والناس الذين يموتون . فأبعدهم عن سرير ليندا بغضب ،

لكنه عندما جلس ثانيــة كانت مشاعره وأفكاره قد تغيرت . وبدلا من لحظات طفولته الرقيقة ، عندما كانت ليندا بمثابة الأم الحنون المحبة ، لم يعد يتذكر الآن ســوى المشــاهد السـيئة فى حياتهمــا ، وهى وحدها أثناء نومها .. بشــكلها القبيح ، بعد شرب كمية كبيرة من الميسكال .

تقلبت ليندا ، واستيقظت وابتسمت ، دون أن تعى أين هى ، وهمست بصوت خفيض : « بوب ! » .

ـ « لكن ، يا ليندا » تكلم الهمجى فى اضطراب: « الا تعرفيننى ؟ » .. وضغط على يدها ثانيــة ، « الا تعرفيننى ؟ » .

واحس بضعف نبض يدها . وانهمرت الدموع من عينيه . انحنى فوقها وقبلها .

تحركت شفتاها وهمست ثانية باسم « بوب » وكان ذلك بمثابة ضربة وجهت الى وجهــه . وفجأة امتلأ بالغضب لتحطم آماله ومثالياته مرتين فى وقت قصير ، مرة على يد لينينا والثانية على يد أمه .

فصرخ فيها : « لكننى جون ! انا جون ! » وفى ثورة غضبه ويأسه وجد نفسه يمسكها من كتفيهـا ويهزها .

انفتحت عيناها ثانية . رأته ، تعرفت عليه .. **وهمست قائلة :** « جون ! » . وتبدت فى عينها نظرة مرتعبة بسبب ما يكتسى وجهه من غضب . ثم انغفر فوها . وتوقفت أنفاسها . ماتت !

حملق الهمجى فيها للحظة فى صمت متجمد ، ثم سقط على ركبتيه بجوار سريرها ، وغطى وجهـه بيديه ، وبكى كما لو كان قلبه قد انفطر .

ووقفت الممرضة وسط العنبر ، لا تعرف ماذا تفعل . أما الأطفـال الزوار ، فقد اخذوا يحملقون بعيون متسعة فى ذلك المشهد التعس ، أينبغى عليهـا أن تكلمه ؟ هل تحـاول أن تعيده الى صـوابه حتى يتصرف بشكل مناسب ؟ وتذكره أين هو ؟ وأى ضرر يمكن أن يسببه لهؤلاء الأطفال الأبرياء ؟ فلقد أفسد كلما تعلموه عن التكيف مع الموت ، بسـلوكه المقزز

هذا .. كما لو أن الموت شيء مزعج ، حتى يهتم به الناس بهــذا الشكل المبالغ ، كما حدث .

تقدمت ناحيته ، ولمسته من كتفه . وقــالت فى صوت منخفض غاضب : « الا يمكنك السيطرة على نفسك ؟ » وعندما تطلعت حولها وجدت العديد من الأطفال يتجهون ناحية السرير ، فأصبح من الواجب أن تفعل شــيئا لتصرف انتباههم بعيدا عن الهمجى وبكائه .

فسألت بصوت مرتفع مرح : « والآن ، من فيكم يريد قطعة شيكولاتة ؟ » .. فتصايح الأطفال وهم من فصيلة : بوكانوفسكى « أنــا » فى صوت واحد .. ونسى الأطفال الهمجى وأحزانه .

ـ « أوه » يا الهى ، يا الهى ، يا الهى ... » . ظل الهمجى يردد ذلك لنفسه . لم يكن ينطق الا بكلمة واحدة فى غمرة الحزن والأسى الذى سيطر على ذهنه . « يا الهى ! يا الهى ! » كان يهمس بها فى صــوت مرتفع .

ـ « ما هذا الذى يقوله ؟ » سمع ذلك من خلال

صوت قريب جدا ومميز ، رغم الموسيقى الحلوة المنبعثة من السماعات .

التفت الهمجي حوله بحدة . فوجد خمسة توائم يرتدون الملابس الكاكى ، وكل منهم يمسك ما تبقى من الشيكولاتة فى يده اليمنى ، ووجوههم المتشابهة ملطخة بالشيكولاتة ، يقفون صفا ويحملقون فيه .

عندما نظر اليهم كشروا جميعهم . وأشار واحد منهم بقطعة الشيكولاتة .

وسأل : « هل ماتت » ؟

وحملق الهمجي فيهم لحظة ، فى صمت . ثم فى صمت وقف على قدميه . ومشى فى هدوء ناحية الباب .

ـ « هل ماتت ؟ » أعاد عليه الطفل السؤال وهو يتقافز متجها ناحيته ، وكله فضول .

ونظر اليه الهمجي ، ودون أن ينطق دفعه بعيدا عنه . فوقع الطفل على الأرض ، وبدأ يعوى على الفور . ولم يلتفت الهمجي حوله أبدا .

تم التحميل من مكتبتي

تحميل من شبكتي

الفصل الرابع عشر

كان طاقم العاملين بمستشفى بارك لين للموتى، يتكون من مائة واثنين وستين من فصيلة دلتا ينقسمون الى فريقين من مرتبة بوكانوفسكى ، اربعة وثمانون فتاة من ذوات الشعر الأحمر ، وثمانية وسبعون رجلا متشابهين من ذوى الشعر الأسود .. و فى الساعة السادسة ، عند انتهاء عملهم اليومى ، تلتقى المجموعتان فى الصالة الأمامية للمستشفى ، حيث يقوم مسئول كبير بتوزيع حصصهم من السوما .

خرج الهمجى من المصعد ومشى وسطهم ، لكن ذهنه كان فى مجال آخر .. مع الموت ، والحزن والأسى ، ودون أن يرى ماذا فعل ، بدأ يشق طريقه باندفاع خلال هذا الجمع .

ـ « من انت حتى تدفعنا ؟ الى اين تظن نفسك ذاهبا » ؟

ولم يصله من خلال الحناجر الزاعقة والمنخفضة لهذا الجمع الا صوتان ، يتكرران بلا نهاية كأنه يقف بين مرآتين ، صدرا عن وجهين أحدهما ذو شعر أحمر والآخر ذو شعر أسود ، ثم التفتا اليه فى غضب . وجعلته كلماتهما التى كانت تصدمه بحدة فى ضلوعه ، أكثر مما تؤثر فيه مرافقتهما ، يفيق الى وعيه . واصبح أكثر ادراكا لعالم الواقع ، ونظر حوله فرأى عددا لا يحصى من المخلوقات المتشابهة . يلتفون حوله متشابهون .. متشابهون . لقد زمجر الأطفال المتشابهون ، عندما رأوا ليندا ميتة . أما الآن ، فهناك كم أكبر من المخلوقات الكبيرة ، افسدوا عليه حزنه وأساه . توقف وأخذ يحملق متخيلا ، فى تلك المجموعة التى ترتدى الكاكى التى فى الوسط ، وأصبح أطول منها بمقدار رأس حيث وقف .. « يا للناس الطيبين الموجودين هنا ! » .. كانت كلمات الأغنية تسخر منه .. « كم هو جميل

الجنس البشرى ! عالم رائع جديد ... » . ثم صاح صوت عال : « توزيع السوما ! هيا ، اسرعوا الى هنا ، بنظام ، ارجوكم » .

فتح باب ، وجىء بمنضدة وكرسى الى مقدمة الصالة . وكان الصوت لشاب يافع من فصيلة الفا ، الذى دخل يحمل خزانة حديدية . وسرت همهمة رضا من الجموع المتشابهة المنتظرة على شوق . نسوا كل ما يتعلق بالهمجى . حيث كان انتباههم مركزا الآن على الخزانة الحديدية السوداء ، التى وضعها الرجل على المنضدة وبدا يفتحها فى تلك اللحظة ، ورفع الغطاء .

ـ « هيه ! هيه ! » .. وهتف الستمائة والاثنان والستون صوتا دفعة واحدة فى ابتهاج !

واخرج الرجل عددا من علب الحبوب . وصاح آمرا : « والآن ، تقدموا الى الأمام من فضلكم . كل فى دوره ولا داعى للتزاحم » .

وتقدم التوائم ، كل فى دوره تزاحم . شابان أولا ثم فتاة ، ثم فتى وبعده ثلاث فتيات ، ثم ...

وقف الهمجى يشاهد ما يجرى . « عالم رائع جديد ، أوه عالم رائع .. » وبدات كلمات الأغنية تاخذ ايقاعا متغيرا فى ذهنه . لقد سخرت الكلمات منه أثناء حزنه وأساه . والآن ، وفجأة تدعوه الى الفعل . « أوه ، أيها العالم الرائع الجديد ! » . كان ميراندا يعلن عن امكانية الحب وحتى امكانية تغيير الحياة التى تشبه حلما بشعا المحيطة به الى شىء راق نبيل . « أوه أيها العالم الرائع الجديد » . كان تحديا ، كان أمرا .

ـ « لا داعى للتزاحم ، الآن » .. صاح المسئول بغضب . واقفل الخزانة بعنف : « سوف أوقف التوزيع ، الا اذا تصرفتم بشكل جيد » .

غمغم أفراد الدلتا ، وتدافعوا قليلا ثم ثبتوا فى أماكنهم .. فقد كان لكلماته تأثير فعال . فعدم الحصول على السوما ـ مسألة مرعبة ! .. وقال الرجل وهو يعيد فتح الخزانة :

ـ « هذا افضل » .

لقد كانت ليندا عبدة .. ولقد ماتت ليندا .
وينبغى على الآخرين أن يعيشوا فى حرية ، والعالم يجب ان يكون جميلا . وفجأة اتضح للهمجى ما ينبغى عليه عمله .

وقال المسئول : « الذى بعده » .

فتقدمت فتاة ترتدى الكاكى الى الأمام .

. **فصاح الهمجى بصوت عال رنان :** « توقفى ! توقفى » !

وشق طريقه الى المنضدة . وحملقت فيه جموع الدلتا بدهشة .

فقال المسئول وهو يكتم غيظه : « أوه فورد ! انه الهمجى » ! وشعر بالخوف .

وصاح الهمجى بجدية : « اصغوا الى ، ارجوكم، أعيرونى أسماعكم .. ولما لم يكن قد تكلم الى جمهور ابدا من قبل ، فقد وجد المسألة غاية فى الصعوبة ، لكى يعبر عما كان يريد أن يقوله :

« لا تأخـذوا ذلك الشيء اللعين . انه سـم ، انه سـم » .

فقال المسئول بابتسامة مترددة : « لو سمحت أيها السيد الهمجى ، ماذا يهمك لو تركتنى » ...

ـ « انه سـم للروح ، تماما مثلمـا هو سـم للجسـد » .

ـ « لا بأس ، لكن دعنى أقم بعملية التوزيع ، أرجوك ؟ لا داعى أيها الزميل طيب » .. وبحذر من يحرض حيوانا على العض ، ربت على ذراع الهمجى :

« أرجو أن تدعنى » .

ـ **فصاح الهمجى :**

ـ « لا .. أبدا » .

ـ « لكن ، اسمع أيها الرجل » .

ـ « الق بعيدا بهذا السم لأبيض » .

أثارت كلمات مثل « الق به بعيدا » انتبـاه

الدلتا الأغنياء ، وانتبهوا الى ما يجرى . وسرت همهمة غاضبة من الجميع .

ـ « لقد جئت من اجل تحريركم » ثم التفت الى التوائم **وقال** : « لقد جئت . . . » .

لم يستمع المسئول أكثر من ذلك . فانسحب من الصالة وهو يبحث عن رقم تليفون فى مذكرة تليفوناته .

❊ ❊ ❊

قال برنارد : « ليس موجودا فى حجرته .. او حجرتى . او فى المركز ، او الكلية . الى اين يمكن ان يكون قد ذهب » ؟

هز هلمولتز اكتافه .. فلقد عادا من عملهما وهما يتوقعان أن يجدا الهمجى ينتظرهما فى مكان أو آخر ، من الأمكنة التى تعودوا الالتقاء فيها ، لكن لم يكن له أثر . وقد افسد ذلك تخطيطهم ، حيث كانوا قد قرروا الذهاب الى « بيارتز » فى طائرة

هلمولتز « الأسبور » ذات الأربعة مقاعد . ومن الممكن ان يتأخروا على العشاء اذا لم يحضر الآن .

قال هامولتز : « سنعطيه فرصة خمس دقائق أخرى . واذا لم يحضر خلالها فلسوف ... » .

قطع كلامه رنين جرس التليفون . التقط السماعة . « آلو ، من المتكلم » وبعد برهة طويلة من الاستماع **صاح مندهشا** :

ــ « أوه فورد ! . سأحضر فورا » .

فسأله برنارد : « ماذا حدث ؟ » .

ــ « زميل أعرفه يعمل فى مستشفى بارك لين يقول ان الهمجى هناك . ويبدو انه قد أصيب بالجنون ، على أية حال ، المسألة عاجلة ، هل تأتى معى ؟ » .

واسرع الاثنان عبر الردهة تجاه المصاعد .

ــ « لكن ، أترغبون فى ان تكونوا عبيدا ؟ » كان الهمجى يقول ذلك عندما دخلا المستشفى .. وجهه

احمر ، وعيناه تبرقان من الانفعال والغضب . ودفعه غباؤهم الحيوانى للتمادى فى اهانتهم رغم انه جاء لانقاذهم . **وقال** : « اتودون ان تصبحوا مثل الأطفال ؟ اجل ، مثل الأطفال . تولولون وتلعبون » .

ولم تستطع الاهانات ان تؤثر فيهم لفرط غبائهم ، فحملقوا فيه بتعبير ابله واستياء غبى تبدى من خلال عيونهم . وصاح : « اجل ، نامبون ! » .

وكما لو ان مشاعر الحزن والندم ، والشفقة والواجب ، قد نسيت فى هذه اللحظة وذابت وتحولت الى نوع من الكراهية اللا ارادية تجاه أولئك الكائنات الأقل درجة من البهائم . **فقال** : « الا تريدون ان تصبحوا احرارا ورجالا ؟ . الا تريدون ؟ » لكنه لم يتلق اجابة لسؤاله . « حسن جدا ، اذن سأعلمكم ، سأجعلكم احرارا ، سواء رغبتهم ام لا » .. واندفع وفتح نافذة والقى نظرة على فناء المستشفى الداخلى ، وبدا فى القاء علب حبوب السوما بيديه .

والحظـة انتـاب مجموعة الكاكى الصـمت ، وتجمدوا من الدهشة والرعب لمرأى تلك الجريمـة الفظيعـة .

وهمس برنارد ، وهو يحملق بعينين متسعتين للغاية : « لقد جن . سوف يقتلونه . سوف .. » وفجأة ندت صيحة عالية من الجمع ، تغذيها حـركة متدافعة مهددة متجهة نحو الهمجى . فقـال برنارد وهو يحول نظره بعيدا : « ساعد يا فورد ! » .

ـ « ان فـورد لا يسـاعد الا من يسـاعدون انفسهم » قال هلمولتز واتسون ذلك وهو يضحك ضحكة مرحة حقيقيـة ، وهو يشق طريقـه وسط الجمـع .

« أحرار ، أحرار ! » واصل الهمجى صياحه ، وهو يلقى حبوب السوما فى الفناء بيد ، بينما كان يضرب بقبضـة يده الأخرى الوجوه المتشابهـة التى تهاجمه .. « أحرار » .. وفجأة وجد هلمولتز الى جانبـه .. « الصـديق العزيز هلمولتز ! » وكان

يضرب هو الآخر .. « رجال فى النهاية ! » ومن حين لحين يلقى بالبسموم بيده من خلال النافذة المفتوحة وهو يصيح : « اجل ، رجال ! رجال ! رجال ! » ولم يعد هناك شيء من الحبوب . ورفع الخزانة الى أعلى ليتأكدوا أنها فارغة : **وصاح** : « أنتم الآن احرار ! » .

واحتشدت جموع الدلتا تصرخ فى غضب :

قال برنارد عند قرب نهاية المعركة وهو متردد :
« انهم يستحقونها » ثم اندفع الى الأمام بالحاح مفاجيء للمساعدة ، ثم قرر الا يفعل ، وتوقف ، وعندما احس بالخجل تقدم للأمام ثانية ، ثم قرر ثانية الا يفعل ، ووقف هناك خجلا من تردده ، وهو يفكر فى انهم ربما يقتلونهما لو أنه لم يتقدم لنجدتهما ، وربما يقتل هو كذلك لو فعل ذلك .. وبينما هو فى هذه الحالة (وشكرا لفورد !) اندفع رجال البوليس بأقنعتهم الواقية من الغاز ، التى تشبه وجوه الخنازير .

اندفع برنارد لملاقاتهم ، ولوح بذراعيه فى حركة تمثيليــة ، وهو يصيح : « النجدة ! » لعدة مرات وبصوت أعلى وأعلى ، ليقنع نفسه بأنه قام بالمساعدة، « النجدة ! النجدة ! النجدة ! » .

دفعه رجال البوليس بعيدا عن طريقهم وشرعوا فى عملهم . وأخذ ثلاثة منهم يرشون سحابات كثيفة من بخار السوما فى الهواء من اسطوانات مثبتـــة على أكتافهم ، وانشغل اثنان منهم حول جهـــاز الموسيقى الصناعية المتنقل . فى حين كان هنـــاك اربعة آخرون يحملون مسدســات مائية محشــوة بمادة صناعيــة فعالة ، يشقون طريقهم بين الجموع ، وبدأوا فى عملهم مبـــاشرة بالرش دفعـــة دفعـــة ، لتهدئـــة شراســـة المتقاتلين .

وصرخ برنارد : « بسرعة ، بسرعة ! سيقتلان ان لم تسرعوا .. أوه ! » . وزهقـــا من صراخه ، سدد احد رجال البوليس نحوه دفعة من مسدسه المـــائى . فوقف برنارد للحظة أو لحظتين على ساقيه المرتعشتين ، ثم سقط مكوما على الأرض .

فجـأة انبعث من جهـاز الموسيقى الصناعيـة صوت ، صوت متكرر ومريح .. كان شريط الصوت يعاد أتوماتيكيا على نفس المقطع الثانى فى فن التحكم فى الجمـاهير (القوة المعتدلة) ومن أعمـاق القلب مبـاشرة قـال الصـوت الذى ليس له مثيـل : « أصدقائى ، أصدقائى » . كان بالصوت رنة أسى . لدرجة أن رجال البوليس أنفسهم قد تأثروا ، وامتلأت عيونهم خلف الأقنعة بالدموع .

ـ « ما معنى هـذا ؟ الستم جميعـا سـعداء وطيبون مع بعضـكم ؟ سـعداء وطيبون » .. وكرر الصوت ذلك وتهدج ، ثم تحول همس قادم من بعيد « أوه ، كم أود أن تكونوا سعداء فعلا » .. ثم أصبح الصوت حادا مرة ثانية **وقـال** : « كم أود فعلا أن تكونـوا طيبـين ! ارجـوكم ، أرجـوكم ، كونـوا طيبين .. » .

بعد مرور دقيقتين أحدث الصوت وبخار السوما تأثيرهما .. ومن خـلال الدموع كانت جموع الدلتـا

تقبل بعضها ويحتضن بعضها البعض فى نفس الوقت . حتى هلمولتز والهمجى كانا يبكيان . واحضر مدد جديد من علب اقراص السوما من مخازن المستشفى، وتم توزيعها بسرعة ، وعلى صوت الوداع الرقيق من قبل الصوت بدأ التوائم فى مغادرة المكان وهم يبكون وكأن قلوبهم قد انفطرت . « وداعا أيها الأصدقاء الأعزاء ، وليرعكم فورد ! وداعا ! يا اعزائى ، يا اعزائى » ...

عندما انصرف آخر أفراد الدلتا ، اوقف رجال البوليس التيار . وتوقف الصوت السماوى .

ـ « سلما نفسيكما فى هدوء ، لو سمحتما ؟ والا سنضطر الى تنويمكما ؟ طلب منهما جاويش ذلك وهو يشير الى مسدسه المائى .

ـ « أوه ، سنسلم انفسنا فى هدوء » .. أجاب الهمجى ، وهو يمسح شفته المقطوعة ، وعنقه المجروح، وعضة فى يده اليسرى . أما « هلمولتز » الذى كان يضع منديله على أنفه النازف ، فقد هز راسه موافقا .

وعندما افـاق برنارد ، واستطاع ان يقف على قدميه ، انتهز هذه اللحظة ؛ فتحرك بهدوء على قدر ما يستطيع تجـاه الباب .

ـ « هيه ، أنت هناك ! » نادى عليه الجاويش؛ وعلى الفور اسرع ناحيته رجل بوليس يرتدى قناعا وأمسك به من كتفه .

التفت برنارد بتعبير اندهاش البرىء . اهرب؟ لم يخطر بباله مثل هـذا الأمر . **وقـال للجاويش** : « مـاذا تريـد منى بحق الأرض . انـا لا اتصـور لمـاذا ؟ » .

ـ « انت صديق للمقبوض عليهمـا ، اليس كذلك ؟ » .

ـ « اجـل » .. قـال برنـارد ، ثم تردد . وحقيقة لم يستطع ان ينكر ذلك ، ثم **سـأل** : « لمـاذا يقبض على ؟ » .

قـال الجاويش : « هيا ، اذن » واصطحبـه الى الباب حيث كانت عربة البوليس فى الانتظار .

تم التحميل من مكتبة

الفصل الخامس عشر

كانت الحجرة التى استدعوا اليها هى مكتبة الحاكم العام ، وقال الخادم وهو من فصيلة الجاما : « سيصل صاحب السعادة الفوردية خلال لحظة » ثم تركهم وحدهم .

ضحك هلمولتز بصوت عال ، وقال : « ان المسألة اشبه ما تكون بدعوة لشرب القهوة الصناعية وليست بمحاكمة » . وجلس فى أكثر الكراسى راحة .

ثم أضاف قائلا : « ابتهج يا برنارد » عندما راى وجه صديقه ، الشاحب التعس . لكن برنارد لم يرد ان يبتهج . ودون أن يجيب ، وحتى دون أن يكلف نفسه بالنظر الى هلمولتز ، ذهب ليجلس على

تم التحميل من مكتبة

أكثر الكراسى راحة فى الحجرة ، اختاره بعناية على أمل بأن يزيح عنه غضب السلطات العليا .

أما الهمجى فكان فى تلك الأثنــاء يتجــول فى الحجرة بقلق ، ويتطلع بقليل من الاهتمام الى الكتب الموجودة على الأرفف ، وكذلك الى أشرطة التسجيل وماكينات قراءة الأفلام وهى مرصوصة ؛ على منضدة أسفل النافذة كان يوجد مجلد ضخم مغلف بجــلد صــناعى أســود ، ومختوم بحــرفين مــذهبين « ت.اس » .. تناول الكتاب وفتحه . « حيــاتى وأعمــالى . تأليف فورد » كان الكتــاب قد نشر فى ديترويت بمعرفة جمعية الدعاية للمعرفة الفوردية . وأخــذ يقلب الصفحات دون اهتمــام ، يقرأ جمــلة هنا ، وفقرة من هناك ، وعندما قرر أن الكتــاب لا يهمه ، فتح البــاب ودخل الحــاكم العام لأوروبا الغربية ، يسير فى هدوء داخل الحجرة .

صافح مصطفى موند ثلاثتهم ، لكنه وجه الكلام بصفة خاصة الى الهمجى وكأنه يخاطب نفســه : وهكذا فأنت لا تحب المدنية كثيرا يا سيد همجى ! » .

نظر اليه الهمجى . كان قد أعد نفسه ليكذب ويجادل ، ويبقى صامتا ، لكنه وقد تشجع عندما راى وجه الحاكم الذى يتسم بالذكاء ، فقرر ان يقول الحقيقة وبصراحة تامة .

ــ « أجل » .. وهز رأسه .

وتبدى الفزع والرعب على برنارد . ماذا سيظن فيه الحاكم ؟ أن يصنف كصديق لرجل قال انه لا يحب المدنية .. وقالها بصراحة ــ وأمام الحاكم بصفة خاصة ــ فذلك أمر مرعب .

ثم شرع يتكلم وقال : « لكن يا جون » .. لكن نظرة من مصطفى موند كانت كفيلة بأن تلزمه صمتا مرعبا .

وواصل الهمجى كلامه معترفا : « بالطبع ، هناك اشياء رائعة جدا . فكل تلك الموسيقى المنتشرة فى الجو ، على سبيل المثال ...

« فأحيانا يرن فى اذنى عزف آلاف الآلات

الموسيقية ، واصوات بشرية أحيانا أخرى » (وهذا الكلام من مسرحية العاصفة لشكسبير) .

واشرق وجه الهمجي بسعادة مفاجئة **وسأل :** « **هل** قرات ذلك الكتاب ايضا ؟ (يقصد مسرحية شكسبير) .. اعتقد انه **لا** يوجد احد يعرف شيئا عن ذلك الكتاب هنا ، في انجلترا ؟ » .

ـ « **لا** احد تقريبا . وانا احد القلائل جدا . انه ممنوع ، كما ترى . لكن طالما انني اسن القوانين بامكاني أيضا ان الغيها ، دون ان أعاقب يا سيد **ماركس** » . والتفت الى برنارد . **وأضاف :** « الأمر الذي اخشى الا يكون في امكانك القيام به » .

وغرق برنارد في حالة من اليأس القاتل .

ـ « لكن لماذا هو ممنوع ؟ » سأل الهمجي ، وهو في غمرة ابتهاجه لمقابلة رجل قرأ شكسبير ، لذا فقد نسي للحفلة كل شيء .

اشراب الحاكم بكتفيه **وقال :** « **لأنه** قديم .

هذا هو السبب الرئيسى . ولا فائدة تعود علينا هنا ، من الأشياء القديمة » .

ـ « حتى ولو كانت جميلة ؟ » .

ـ « وبالذات عندما تكون جميلة . فالجمال جذاب ، ونحن لا نريد الناس أن تنجذب للأشياء القديمة . نحن نريدهم أن يحبوا الجديد » .

ـ « لكن الأشياء الجديدة تتسم بالغباء والفظاعة . فتلك الأفلام ، لايوجد بها شيء سوى طائرات الهليوكوبتر ، وأناس يقبلون بعضهم طول الوقت » ، واكتسى وجهه بنوع من التقزز . ولم يجد سوى كلمات عطيل لتكون كافية للتعبير عن احتقاره وكراهيته **فقال** : « ماعز ، وقرود ! » .

وقال الحاكم :

ـ « انها حيوانات لطيفة ، بأى حال من الأحوال » .

ـ « لماذا لا تدعهم يشاهدون « مسرحية عطيل » بدلا من ذلك » ؟

ـ « قلت لك ، انها قديمـة ، بالاضافة الى انهم لن يفهموها » .

أجـل ، كان ذلك صحيحـا ، وتذكر كيف كان هلمولتز يضحك عندما قرأ عليه مسرحية « روميو وجولييت » . **وقال بعد فترة صمت :** « حسن اذن ، فليشاهدوا شيئا جديدا على غرار عطيل ، وبالتالى يمكنهم فهمه » .

وقطع هلمولتز فترة الصمت الطويلة **وقـال :** « ذلك ما كنا نريد أن يكتب » .

فقال الحـاكم : « وهـذا ما لن تكتبـه أبدا . لانه اذا كان على غرار عطيل ، فلن يفهمه أحدا ، مهما كان جديـدا . لكن اذا كان هنـاك شيء جديـد ، فلا يمكن بأى حال من الأحوال أن يكون مثل عطيل » .

ـ « ولم لا » ؟

ـ « أجل ، ولم لا ؟ » .. ردد هلمولتز ذلك وقد نسى تماما الواقع السيىء للموقف الذى هم فيه . فيما عدا برنارد الذى كان شاحبا من الخوف وقلقا

على المستقبل ، وذكرهما بذلك . لكنهما لم يلقيا بالا له .

ــ « ولم لا » ؟

ــ « لأن عالمنا ليس عالم عطيل . لا تستطيع أن تقدم المآسى طالما لا يوجد شقاء .. الناس الآن سعداء . يحصلون على ما يرغبون ، ولا يرغبون فى شىء لا يستطيعون الحصول عليه . فهم منعمون . آمنون . لا يمرضون أبدا . ولا يهابون الموت ، لا يعرفون شيئا عن العواطف ولا العهود القديمة . لا يقلقون على الأمهات أو الآباء . ليس لديهم زوجات او أزواج ، ولا أطفال ، ولا يحبون ان تكون لديهم مشاعر قوية تجاه ذلك . لقد تم تكيفهم حتى لا يستطيعوا من الناحية العملية التصرف الا بما تم عليه تكيفهم . ولو حدث وسارت الأمور على غير ما يرام ، فهناك حبوب السوما . التى قمت انت بالقائها من النافذة باسم الحرية ، يا سيد همجى » . ثم ضحك وقال : « الحرية ! .. هل كنت تتوقع ان الدلتا يعرفون ما هى الحرية ! وتتوقع منهم الآن

أن يفهموا عطيل ؟ كيف تسنى لك أن تكون لديك مثل هذه الفكرة » !

ظل الهمجى صامتا لفترة .. « على أية حال » ، واستمر الهمجى مصرا على الجدل ، « فعطيل مسرحية جيدة . عطيل أفضل كثيرا من تلك الأفلام » .

فوافقه الحاكم : « بالطبع عطيل عمل جيد .. لكن هذا هو الثمن الذى يتحتم علينا أن ندفعه من أجل الاستقرار .. عليك ان تختار بين السعادة وبين ما يسميه الناس الفن الراقى . لقد ضحينا بالفن الراقى . ولدينا بدلا منها أفلام العشق والغرام » .

ـ « لكنها لا تعنى أى شىء » .

ـ « انها لا تعنى اكثر من نفسها . تعنى الكثير من المشاعر المبهجة للمشاهدين » .

ـ « لكنها .. لكنها .. شىء يرويه أبله » .

ضحك الحاكم وقال : « انت بذلك تجرح مشاعر صديقك السيد واتسون ، فهو أحد مهندسينا المتميزين فى العواطف » .

فقال هلمولتز فى ياس : « لكنه على صواب . ذلك ان الكتابة حيث لا يوجد شىء يمكن أن يقال . مجرد عبث » .

ـ « بالضبط . لكن الكتابة من ذلك النوع تتطلب مهارة فائقة .. ان تصنع شيئا ، وبصفة خاصة من لاشىء » .

هز الهمجى رأسه وقال : « تبدو المسألة كلها فظيعة بالنسبة لى » .

ـ « هى كذلك بالفعل . فالسعادة ليست مثيرة مثل البؤس ، السعادة ليست بالشىء الضخم .

فقال الهمجى بعد فترة صمت : « لا أعتقد ذلك . لكن هل هناك ضرورة لأن تكون بمثل ذلك السوء ، الذى عليه حال أولئك التوائم ؟ وأصابته رعدة عندما تذكر منظر كل أولئك المتشابهين وهم يقفون صفوفا طويلة ، الأقزام القبيحة ، وهم ينتظرون توزيع السوما ، ومنظرهم وهم يزمجرون حول سرير ليندا ـ الميتة ، وهم يهاجمونه جميعا من خلال

وجه واحد يتكرر بلا نهاية . ونظر الى المضغة التى فى يده وارتجف **وقال** : « شىء فظيع » !

ـ « لكنهم مفيدون جدا . أرى أنك لا تحب مجموعاتنا من فصيلة بوكانوفسكى ، لكنى أؤكد لك انهم الأساس الذى يقوم عليه كل شىء آخر . انهم يمدوننا بالاستقرار الذى يعتمد عليه كل النظام الاجتماعى » .

قال الهمجى : « لقد كنت أتساءل ، لماذا كل هذا الكم لديكم ، فى حين اننى أرى أنه بامكانكم أن تنتجوا ما تريدون من تلك الزجاجات . لماذا لا تجعلون الجميع من فصيلة الفا ـ مزدوج ـ موجب ، التى أنت منها ؟

ضحك مصطفى موند وأجاب : « لأننا لا نريد أن تقطع رقابنا . نحن نؤمن بالسعادة والاستقرار . ان مجتمع الألفا لايمكن أن يصبح غير مستقر أو بائس . فالواحد من فصيلة الألفا يمكن أن يجن اذا تحتم عليه أن يقوم بعمل واحد من فصيلة الابسيلون .

يجن ، أو يبدأ فى تحطيم الأشياء . فالابسيلون فقط يتوقع منه ، ان يقدم التضحيات المطلوبة منه ، فى نفس الوقت الذى لا يضحى الآخرون من اجله . فهو مكيف للحياة التى ينبغى عليه ان يعيشها . لايستطيع ان يفعل غير ذلك » .

تنهد الهمجى ..

وقال مصطفى موند : « ان التوزيع السكانى النموذجى ، مثل جبل الثلج العائم فى الماء .. ثمانية على تسعة منه تحت الماء ، وواحد على تسعة فوق الماء .

ــ « وهل هم سعداء تحت سطح الماء » ؟

ــ « بل اسعد ممن هم فوق سطح الماء . اسعد من اصدقائك الموجودين هنا ، على سبيل المثال » . واشار اليهما .

ــ « بالرغم من ذلك العمل الفظيع » ؟

ــ « الفظيع ؟ انهم لا يرونه كذلك . بل على

العكس ، يحبونه . انه عمل بسيط ، فى بساطة لعب الأطفال . ليس به أى ضغط على الذهن أو العضلات . سبع ساعات ونصف من العمل اللطيف ، دون جهد بدنى زائد ، بعد ذلك يتم توزيع السوما ، والألعاب ووسائل تسلية أخرى متوفرة لهم ، ماذا يطلب الانسان اكثر من ذلك ؟ حقيقة » . **ثم أضاف** : « ربما يطالبون بتقليل ساعات العمل ، لكن هل سيكونون أكثر سعادة لذلك ؟ كلا . ولقد نفذنا التجربة منذ قرن ونصف مضى ، فى ايرلندا كلها ، وقام العمال لمدة اربع ساعات يوميا . فماذا كانت النتيجة ؟ عدم الارتياح ، وتعاطى كميات كبيرة من السوما . ومكتب الاختراعات ملىء بالخطط للحفاظ على تطور العمل . آلاف الخطط » .

وباعد مصطفى موند ما بين ذراعيه ليعطى فكرة عن أكوام الخطط . « لكن لماذا لا نستخدمها ؟ . من اجل العاملين . لأنه من الظلم أن نتيح لهم الكثير من أوقات الفراغ . نفس الشىء بالنسبة للزراعة . فبامكاننا انتاج ما يكفى لاطعام الجميع من الغذاء

الصناعى ، اذا اردنا ذلك . لكننا لا نريد . فنحن نفضل ان يكون ثلث السكان يعملون فى الأرض . كل ذلك من اجل خاطرهم . لأن الحصول على الغذاء من الأرض يستغرق وقتا طويلا أكثر من استخراجه من المصانع . بالاضافة الى الاستقرار المتوفر لدينا ، ولابد ان نضعه فى الاعتبار . نحن لا نريد التغيير . فكل تغيير هو تهديد للاستقرار . وهذا سبب آخر ، لحرصنا الشديد عند استعمال مخترعات جديدة . كل اكتشاف علمى محض ، من الممكن ان يؤدى الى ثورة . حتى العلم لابد ان يعامل أحيانا على انه عدو محتمل . نعم ، حتى العلم ! » .

ـ « ماذا ؟ » تساءل هلمولتز فى دهشة واكمل : « لكننا نعلم الناس بأن العلم المجرد هو كل شىء . حتى من خلال التعلم أثناء النوم ! » .

فاضاف بارنارد : « ثلاث مرات فى الأسبوع ما بين سن السابعة والثالثة عشرة » .

ـ « وكــل تلك الدعـــاية التى نقوم بهــا فى الكلية .. » .

فسأل مصطفى موند : « نعم ، لكن أى نوع من العلم ؟ .. انت لم تتلق تدريبا علميــا ، لذا لا يمكنك ان تحكم . لقد كنت عالمــا متميزا على أيامى . متميز جدا .. متميز بما فيه الكفاية لاثبات أن علمنـــا ما هو الا مجرد كتاب فى فن الطبخ ، تدعمه نظرية رسمية للطبخ ولا يسمح لأحد بالسؤال . وقائمـــة بالوصفات لايمكن اضافة أى شىء عليها ، الا باذن خاص من كبير الطهاة . انا الآن كبير الطهاة ، لكنى كنت ذات يوم صبيا فى المطبخ ، له ذوق فى ابتداع الأشياء ، وبدأت اطبخ صنفا خاصا بى ، طبيخ غير رسمى ، طبيخ غير قانونى . نوع من العلم الحقيقى ، حقيقة » .. ثم كف عن الكلام .

ـ « ومــاذا حــدث ؟ » .. فســـأل هلمولتز واتسون .

فتنهد الحــاكم .

ـ « شيء أشبه بما سوف يحدث لكم . كنت على وشك أن يبعثوا بى الى احدى الجزر » .

فزع واقفا وجرى عبر الحجرة ، ووقف يلوح بذراعيه أمام الحاكم **ويقول** : « لايمكن أن تبعث بى . أنا لم أفعل أى شيء . بل هما . أقسم على ذلك » . وأشار بأصبع اتهام الى هلمولتز والهمجى . « أوه ، أرجوك ألا تبعث بى الى أيسلندا . أعدك بألا افعل الا ما ينبغى على فعله . امنحنى فرصة أخرى . أرجوك امنحنى فرصة اخرى » .. وبدأت الدموع تنساب .. « أقول لك انه غلطتهما » .. وبكى .. « ليس الى أيسلندا . أوه أرجوك ، يا صاحب السعادة الفوردية ، أرجوك » .. وفى غمرة من اليأس ألقى بنفسه على ركبتيه أمام الحاكم . حاول مصطفى موند أن ينهضه ، لكنه بقى مكانه ينتحب ويعترض .

فى النهاية دق الحاكم جرسا لسكرتاريته الرباعية . **واصدر امرا** : « احضر ثلاثة رجال ،

وخذوا السيد ماركس الى حجرة نومه . أعطوه جرعة قوية من رشات السوما ، ثم ضعوه فى الفراش ، واتركوه » .

وخرج السكرتير وعاد ومعه ثلاثة توائم من المعاونين يرتدون زيا أخضر . وحملوا برنارد الى الخارج وهو ما يزال يصرخ ويبكى .

قال الحاكم عندما أغلق الباب : « يكاد المرء يتصور انه ذاهب الى حيث تقطع رقبته . ولو لديه اقل قدر من الوعى ، لتأكد ان عقابه هذا ما هو الا جائزة فى الحقيقة . اذ يمكن القول بأنه سيرسل الى مكان سوف يقابل فيه مجموعة ظريفة جدا من الرجال والنساء ، يندر وجودهم فى أى مكان فى العالم . سيقابل كل الناس الذين لسبب أو آخر يتميزون بتفردهم الشديد ولا يتوافقون مع حياة المجتمع . كل الناس الذين لم يقتنعوا بأن يكونوا مثل الآخرين ، لديهم افكارهم الخاصة . كل فرد ، بمعنى من المعانى ، ليس كالآخر .. لكم احسدك يا سيد واتسون » .

ضحك هلمولتز وقال : « اذن لماذا لا تذهب انت الى احدى الجزر ؟ » .

ــ « لاننى فى النهاية ، فضلت ذلك . عرض على أن أختار ، اما أن يبعث بى الى احدى الجزر ، حيث استطيع ممارسة مجالى العلمى ، أو ان انضم الى مجلس الحاكم ، مع تأكيد من داخل نفسى باننى سأصبح حاكما . اخترت ذلك وتركت العلم لحال سبيله . وأصبحت فى الحكم منذ ذلك الحين . وللحقيقة ، فهى ليست مهمة طيبة بالطبع . لكنها مناسبة جدا بالنسبة للسعادة . فالسعادة لها ثمنها الذى تدفعه . أنت تدفع ثمنها ــ يا سيد واتسون ــ تدفع لأنك مغرم جدا بالجمال . لقد كنت مغرما جدا بالحقيقة . لذا فأنا ادفع أيضا » .

سأله الهمجى بعد فترة صمت : « لكن الم تذهب أبدا الى احدى الجزر » ؟

ابتسم الحاكم وقال : « وهذا يظهر مدى ما دفعته . ان اختياري لخدمة السعادة يعني أن اخدم الآخرين .. ولست أنا . ثم أضاف بعد فترة « من حسن الحظ ، أنه توجد جزر كثيرة في العالم لست ادري ماذا كان يمكن أن نفعل دون وجودها . والا كنت وضعتكم كلكم في حجرة الغاز . على ما أعتقد . بالمناسبة يا سيد واتسون . هل تفضل المناخ الاستوائي ، أم مناخا آخر يجعلك أكثر حيوية » ؟

نهض هلمولتز من على كرسيه وأجاب : « أفضل أن أكون في مناخ سيئ . لانني أعتقد ان المرء يستطيع أن يكتب بطريقة أفضل ، لو كان المناخ سيئا . حبذا لو كانت هناك رياح وعواصف ، على سبيل المثال » .

هز الحاكم رأسه موافقا : « أنا أحب روحك

يا سيد واتسون . أحبها كثيرا جدا فى الحقيقـة . بنفس الدرجة على عدم موافقتى عليها من الناحيـة الرسمية » . **وابتسم وقال** : « ما رأيك فى جزر الفوكلاند » .

فأجاب هلمولتز : « لا بأس ، أعتقد انها مناسبة . والآن ، اذا لم يكن يضيرك ، سوف أذهب لرؤية كيف حال برنارد المسكين » !

تم التحميل من مكتبة

الفصل السادس عشر

« الفن ، والعلم .. يبدو أنك تدفع ثمنا غاليا جدا لسعادتك » **قال الهمجي عندما أصبحا وحدهما :** « هل هناك شيء آخر » ؟

فاجاب الحاكم : « بالطبع ، هناك العقيدة . ففي وقت من الأوقات كان هناك شيء يدعى الاله . لكنني نسيت ، أنك تعرف كل ما يحيط بالاله ، على ما أعتقد » .

ـ « حسن ... » وتردد الهمجي . فقد كان يود أن يقول شيئا عن العزلة ، وعن الليل ، وعن السهول المترامية الشاحبة تحت ضوء القمر ، عن الجرف ، عن السير في ظلام الظلام ، عن الموت . كم كان يود أن يتكلم ، لكن الكلمات ضاعت منه : حتى كلمات شكسبير .

تم التحميل من مكتبتي

وقــال مصطفى موند : « فى الحقيقــة ، انك تطالب بحقك ، فى أن تكون غير سعيد » .

فقال الهمجى بجسارة : « لا بأس اذن ، أنـا أطالب بحقى فى أن أكون غير سعيد » .

ــ « هذا فضــلا عن الحق فى أن تغدو عجوزا قبيحا ، وضعيفا ، الحق فى المعاناة من الأمراض ، الحق فى أن يكون لديك القليل لتأكله ، الحق فى أن تعيش فى خوف دائم مما قد يحدث غدا ، الحق فى أن تقع فريسة للآلام من كل نوع » .

حدثت فترة صمت طويلة .

وقال الهمجى أخيرا : « أنا أطالب بكل ذلك » .

فرفع مصطفى موند كتفيه وقال : « أهلا بك » !

الفصل السابع عشر

كان الباب نصف مفتوح . فدخلا . « جون ! » وجاء من الحمام صوت واهن يدل على ان صاحبه مريض جدا .

فنادى هلمولتز : « هل فى الأمر شىء ؟ » .

لم يتلق اى رد ، وتكرر الصوت مرتين . ثم حدث صمت . ثم فتح باب الحمام ، وخرج الهمجى شاحبا جدا .

فصاح هلمولتز : « هيه يا جون ، أرى انه مريض جدا » .

— **فسأله برنارد :** « هل أكلت شيئا أضر بك ؟ » .

فهز الهمجى رأسه : « لقد أكلت المدنية » .

ـ « مـاذا ؟ » .

ـ « لقد سممتنى » . ثم أضاف بصوت واهن : « وبعد ذلك أكلت آثامى » .

ـ « أجل ، ولكن ما الذى بالضبط .. اعنى ، كيف حالك الآن » .

ـ « الآن ، شفيت تماما . فقد شربت بعض الموستارد مع شىء من المـاء » .

فتطلع اليه الاثنان بدهشـة وسـأله برنارد : « اتقصد أن تقول انك فعلت ذلك عن عمد » ؟

ـ « انها الطريقة التى يستعملها الهنود لعلاج انفسهم » جلس ، وتنهد ، ومر بيده على جبهتـه وقـال : « سأرتاح لبضع دقائق . فأنا متعب جدا » .

فقال هلمولتز : « حسن ، لا يدهشنى ذلك » . وبعد فترة صـمت قـال : « لقد جئنـا لنقول لك وداعـا » . وواصل كلامه بنبرة أخرى « سوف نطير غدا صباحا » .

ـ « اجل سوف نطير صباحا » قال برنارد ذلك، وقد لاحظ الهمجي على وجهه تعبيرا جديدا من الاستسلام . « وبالمناسبة ، يا جون » واصل كلامه وهو ينحني الى الأمام في كرسيه ويضع يده على ركبة الهمجي : « اود ان أعبر لك عن خالص اسفي لما بدر مني بالأمس » . واحمر وجهه ، « كم انا خجل » وواصل كلامه بالرغم من اضطراب صوته : « حقيقة كم انا ... » .

قاطعه الهمجي بسرعة ، وامسك بيده ، وضغطها بحنان . وبعد فترة صمت قصيرة واصل برنارد كلامه « لقد كان هلمولتز نعم العون لي . ولولا وجوده ، لكنت ... » .

فقال هلمولتز محتجا : « وبعدها معك » .

حدثت فترة صمت ، وبالرغم من حزنهم .. لأن حزنهم هذا كان علامة حبهم لبعضهم .. فلقد كانوا سعداء !

ـ « لقد ذهبت لمقابلة الحاكم هذا الصباح »..

قال الهمجى اخيرا :

ـ « لمـــاذا » ؟

ـ « لأطلب منه اذا كان من الممكن أن اذهب الى الجزر معكم » .

ـ « وماذا قال ؟ » .. سأله هلمولتز باهتمام.

فهز الهمجى راسه وقـــال : « لم يســـمح لى بذلك » .

ـ « لمـــاذا » ؟

ـ « قال انه يريدنى أن أستمر فى التجربة ، لكننى لا ارغب » قال الهمجى ذلك بغضب مفاجىء . « لا أريد أن استمر فى تلك التجربة . حتى من أجل خاطر كل حكام العالم ، ســوف اهرب غداً » .

فسأله الآخران : « لكن أين » ؟

فهــز الهمجى راســه : « لا ادرى . الى اى مكان . لا يهمنى طالمـــا سأكون وحدى » .

كان الخط الجوى لطائرات الهليوكوبتر من لندن الى بورتسموث محددا بصف من الأبراج الضوئية لهداية الطيران الليلى . أما الخط العكسى من بورتسموث الى لندن فكان يسير موازيا فى غير انتظام على مبعدة ناحية الغرب ، ومحددا أيضا بمثل هذه الأبراج . وحدث ان وقعت حادثة فظيعة . فقرروا نقل خط بورتسموث لعدة كيلو مترات أكثر ناحية الغرب فى منطقة ما فى مقاطعة « سارى » . واصبح الخط القديم لا يبعد أكثر من ستة أو سبعة كيلو مترات . وكانت تلك المسافة قصيرة جدا بالنسبة للطيارين المهملين خاصة اذا تناولوا نصف جرام زيادة . كان المقر الخاص بالخط القديم محددا بأربعة ابراج ضوئية مهجورة . والسماء فوقها خالية ساكنة .

اختار الهمجى لسكناه المنعزلة واحدة من هذه البنايات تقع على قمة تل . كان المبنى متينا وبحالة جيدة ـ ومريحا جدا ـ وقد اعتقد الهمجى عندما دار فى المكان لأول مرة ، أن المبنى مريح وحضارى

جدا . وهذا من نوع نفسه ، بأن قطع على نفسه عهدا بأن تكون حياته حياة خشنة مع الالتزام الصارم جدا .

ومرت الليلة الأولى هناك بلا نوم ، وقضى ساعات الليل المظلمة راكعا على ركبتيه ، يبتهل لكل الآلهة الذين سمع عنهم أيام طفولته هناك فى معسكر الحجز . وكان من وقت لآخر يفرد ذراعيه ويبتهل : « أوه ، فلتغفر لى » .. كان يبتهل والدموع والعرق يفيضان على وجهه . « أوه ، فلتغفر لى ! أوه ، طهرنى ! ساعدنى على أن أكون خيرا ! » ويظل يردد ذلك مرات ومرات ، حتى يكاد يغمى عليه من الألم .

عندما جاء الصباح ، شعر بأنه يستحق الحياة فى هذا المكان ، أجل ، رغم انه مازالت هناك بعض ألواح الزجاج فى معظم النوافذ ، ورغم أن المنظر كان جميلا من أعلى . والسبب المباشر لاختياره البرج انه قد أصبح مبررا ملزما لعدم ذهابه الى اى مكان

آخر . لقد قرر ان يعيش هنا لأن المنظر كان فى منتهى الجمال ، ويخيل اليك أيضا أنك حين تنظر من فوق ذلك المكان المرتفع كأنك تتطلع الى فردوس رائـــع . لكن هل يستحق أن ينعم بهذا المنظر الرائع يوميـــا وكل ساعة ؟ ان ما كان يستحقه هو العيش فى حفرة صماء داخل الأرض . ورغم أنه كان متخشبا ومتألمـــا بسبب آلامه الطويلة خـــلال الليل ، الا أنه صعد الى شرفة البرج ، وتطلع الي الشمس المشرقة على كل الأرض . كانت حدود المكان شمالا مجموعة من التلال تسمى « هوج باك » . اما الوادى الذى كان يفصل هذه التلال عن التل الرملى الذى يقع عليـــه البرج ، فكانت توجد به قرية متواضعة بها مزرعة للدواجن ، تتكون من تسعة أدوار فقط . وعلى الجانب الآخـــر من البرج ، تجـــاه الجنـــوب ، فكانت عبـــارة عن منحدرات مليئـــة بالحشـــائش البريـــة والشجيرات الواطئة بعدها توجد سلسلة من البحيرات .

كانت تلك المنحدرات هى التى جذبت الهمجى الى هـــذا البرج . فقد كان المنظر رائعا جدا خاصة

بالنسبة لعين تعودت على رؤية الصحراء الأمريكية المقفرة . الغابات ، المساحات الممتدة المفتوحة من الشجيرات ذات الزهور الصفراء ، أطراف الأشجار العالية ، لمعان البحيرات واشجار الصفصاف تميل عليها ، زنابق الماء .. الى كل هذا الجمال . بالاضافة الى الهدوء !

مرت عليه أيام بأكملها لم ير فيها انسانا .. كان البرج يبعد بمقدار ربع ساعة طيرانا عن برج « تشارنج تى » ، لكن تلال مالبيز كانت أكثر قفرا من هذا المكان ، والجموع التى كانت تغادر لندن يوميا بقصد لعب الجولف ، أو التنس .. لم يكن يوجد نواد للجولف بالجوار القريب . وكان أقرب الملاعب الصناعية للتنس يبعد عدة أميال . لقد كانت الزهور والمنظر العام هى سبب الانجذاب لهذا المكان . ولذا فلم يكن هناك مبرر لأى أحد أن يحضر الى هنا ، لا أحد .

وقد قضى الهمجى أيامه الأولى وحده دون أن يزعجه أحد .

أما بالنسبة للنقود التى تلقاها جون عندما وصل فى البداية ، كمصروف شخصي . فقد كان صرف معظمها على متطلباته لحياته الجديدة . أحصى الباقى معه . وتمني أن يكون كافيا لكى يعوله خلال فترة الشتاء . أما فى الربيع فسوف تثمر حديقته بما فيه الكفاية ولن يكون فى حاجة لأحد . هذا بالاضافة لوجود بعض الحيوانات البرية ، فقد رأى العديد من الأرانب ، وبطا بريا فى البحيرات . فشرع فى العمل فورا ليصنع قوسا وسهاما .

كانت هناك أشجار فتية مستقيمة فى رشاقة ، فى غابة قريبة من البرج . فقطع واحدة وجهز منها ساقا مستقيمة طولها ستة أقدام دون أفرع . ونزع عنها اللحاء الأبيض وأخذ يبريها من الطرفين بعناية شديدة حتى أصبحت فى مثل طوله ، صلبة من الوسط لأنها أسمك ، ومرنة مثل الزمبرك الحديدى من عند الطرفين .

بعد تلك الأسابيع التى قضاها فى كسل تام بلندن ، حيث لا شيء يفعله ، وكلما احتاج الى شيء

ما كان عليه الا أن يضغط على جرس أو يدير مقبضا ، كم كان مبتهجا كل الابتهــاج لأنه يفعل شيئا يتطلب المهارة والصبر .

وما كاد ينتهى من عمل القوس ، حتى اكتشف انه يغنى .. يغنى ! فتوقف ، لانــه شــعر بذنب كبير . فقبل كل شيء ، هو لم يأت هنــا لكى يغنى أو يمتع نفســه . انما كان الهدف هو الهروب من الارتباط المقزز بتلك الحياة المتحضرة ، ومن المفروض أن تكون حياته هنــا نقية طيبة . واكتشف انه نسى ما قطعه على نفســه من عهد بأن يتذكر المسكينــة ليندا ، وقسوته عليها فى لحظاتها الأخيرة . لقد جاء الى هنا ليعبر عن عميق حزنه . وها هو يجلس سعيدا يصنع قوسه وسهامه ، ويغنى ، يغنى بالفعل !

ذهب الى الداخل ، وفتح علبــه الموســتارد ، واضاف اليها شيئا من المــاء ليغليها .

بعد نصف ساعة ، حدث ان جاء ثلاثة عمــال من فصيلة دلتا سالب ، يقودون سيارتهم بالقرب من

التل ، وأصابتهم الدهشة لرؤيتهم شابا يقف بالقرب من ذلك البرج المهجور . نصفه عار ويضرب نفسه بسوط به عقد . كان ظهره مليئا بخطوط حمراء رفيعة ، تتساقط منها قطرات من الدم . توقف سائق العربة على جانب الطريق ، وحملق هو وزميلاه وأفواههم مفتوحة فى ذلك المنظر الغريب . واحد ، اثنان ، ثلاثة .. أخذوا يحصون الضربات ، بعد الضربة الثامنة ، توقف الرجل عن عقابه لنفسه واندفع جريا الى حافة الغابة حيث بدا عليه التعب ، وبعد أن استراح التقط السوط ثانية وبدأ يضرب نفسه مرة ثانية . تسعة ، عشرة ، أحد عشر ، اثنى عشر ....

ــ « أوه ، فورد ! » همس السائق . وكذلك فعل الآخران . وقالوا : « آه يا فورد » !

بعد ثلاثة أيام ، تقاطر المراسلون ، مثل تقاطر الطيور على جثة ميتة .

اصبح القوس صلبا وجاهزا . بعد ان جففه

على نار هادئة لخشب اخضر . وانشغل في اعداد سهامه . فجفف ثلاثين عصا زود أحد اطرافها بمسمار حاد ، وجعل الطرف الثاني على شكل حرف V حتى تستقر على خيط القوس . كان ذات ليلة قد قام بزيارة مزرعة الدواجن ، وأصبح لديه من الريش الآن ما يكفي حاجته . وبينما كان مشغولا في تثبيت الريش على أول سهامه ، وصل أول المراسلين . تسلل في هدوء بحذائه الكاوتش حتى أصبح خلفه .

وقال : « صباح الخير يا سيد همجي . انا مراسل جريدة « ذي أورلي راديو » . قفز الهمجي واقفا على قدميه من أثر المفاجأة ، كما لو ان ثعبانا لدغه ، وبعثر السهام والريش في كل الاتجاهات .

فقال المراسل : « ارجو المعذرة ، أنا آسف » . ولمس قبعته .. وهي قبعة طويلة من معدن خفيف بها جهاز ارسال . وقال : « ارجو المعذرة لانني لم

أخلعها ، فهى ثقيلة الى حد ما . وكما كنت أقول لك ، انا مراسل جريدة « ذى أورلى ... » .

فسأله الهمجى بعنف : « ماذا تريد » ؟

ابتسم المراسل ابتسامة ودودة للغاية ، **وقال :** « حسن ، أن قراءنا سيكونون فى منتهى الشوق لبعض كلمات منك ، يا سيد همجى .» . وابتسم ابتسامة بالغة السعادة على غير العادة .. « مجرد كلمات بسيطة منك . يا سيد همجى » .. وعلى الفور كان قد أخرج سلكا من جيبه ، واوصله بجهاز الارسال ، وادار مفتاحا صدر عنه طنين خافت . **وقال :** « هالو » عبر ميكرفون تدلى بلمسة من يده من القبعة وأصبح أمام فمه . وفجأة دق جرس داخل القبعة « هل أنت ادزل » ؟... « بريمو ميلون » يتحدث . لقد وفقت فى العثور عليه . انه هنا . والآن يا سيد همجى ، الا تتفضل وتمسك بالميكرفون ، وتقول بضع كلمات قليلة ؟ » .. ونظر الى الهمجى بابتسامة كلها زهو **واكمل : « مجرد** أن تقول للقراء

لمــاذا جئت الى هنا . ما الذى جعلك تفــادر لندن (استمر يا ادزل) .. هــكذا فجــأه . وتحــكى ، بالطبع عن السوط ؟ (جفل الهمجى . وقال لنفسه . كيف تسنى لهم أن يعرفوا حكاية السوط) ثم شيئا عن المدنية . وعن « رأيك فى الفتــاة المتحضرة .. مجرد كلمات قليلة ، قليلة جدا ... » .

واستجاب له الهمجى ، لكن ليس كمــا توقع السيد ميلون ، فلم ينطق بأكثر من كلمتين ، وبعد ذلك ظل يرددهما . « اخرج من هنــا ! اخرج من هنا ! » وامسك بالمراسل من كتفيــه ، ولفه حول نفســه وبكل قوة ومهارة بطل من أبطال كرة القدم ، ركله بعنف فى مؤخرته .

بعد مضى ثمانى دقائق ، كانت هناك طبعة جديدة من جريدة « ذى أورلى راديو » تباع فى شــوارع لندن ، وعلى صــدرها عنوان بالأحــرف الكبــيرة « مراسل أورلى راديو يركل فى مؤخرته من همجى مجهول » .

وبالرغم مما عاناه ميلون ، فقد وصل أربعة مراسلين آخرين بعد الظهر الى البرج . واستقبل كلا منهم بأعنف مما استقبل به زميله السابق .

وصاح أحد المراسلين من على بعد مسافة آمنة وهو ما يزال يدلك آثار الركلة التى نالته فى مكان حساس : « أيها الرجل المجنون ، لماذا لا تتناول السوما ؟ فمن الممكن أن تجعلك أفضل » ؟

ـ « أوه ، هل ترى ذلك ؟ » .. قال الهمجى ذلك وهو يلتقط عصا غليظة ويتحرك ناحيته .. فاندفع المراسل الى طائرته الهليوكوبتر .

بعد ذلك انقطعوا عن الهمجى لفترة وتركوه فى هدوء . ثم جاءت بضع طائرات هليوكوبتر وحلقت فوق البرج . فأطلق سهما لأقرب طائرة فاخترقت الأرضية المعدنية الرقيقة لكابينة القيادة وسمعت صرخة ألم ، وانطلقت الطائرة الى أعلى بأقصى سرعتها .

بعد ذلك ظلت الطائرات الأخرى محافظة على ارتفاعها خشية أن تصاب . وشرع يحفر خندقا فى الحديقة ولم يعرهم مزيدا من الاهتمام . ويبدو انهم ملوا من الانتظار ، طالما لم يطرأ أى شىء جديد ، فانطلقوا بعيدا .

كان الجو حارا جدا ، ورعد يدوى فى الجو ، كان قد حفر طوال فترة الصباح ، وتمدد على الأرض ليستريح . وفجأة طافت لينينا بخياله ، وكأنها موجودة معه فعلا فى البرج ، وتقول له « يا عزيزى ! » وكانت حلوة ، رائحتها جذابة .

قفز واقفا على قدميه وانطلق يجرى بعيدا عن البيت . وكانت توجد على مشارف الغابة كومة من الشجيرات الجافة ذات الأشواك ، فألقى بنفسه فى غمارها ، فاخترقت جسده بألم . حاول أن يفكر فى « ليندا » المسكينة ، التى قطع على نفسه عهدا بأن يتذكرها . لكنه ظل فى أسر لينينا التى ملأت كل تفكيره . لينينا التى وعد بأن ينساها . حتى خلال

الأشـواك ووخزها ، كان يشعر بها ، شعورا حقيقيا لا يمكن مقاومته . وصوتها يرن فى اذنيه . « . . . أوه يا حبيبى ، يا حبيبى » .

كان السوط معلقا على مسمار بجوار الباب ، جاهزا للاستعمال لو جاء مراسلون جدد . وفى ثورة غضب اندفع الهمجى عائدا الى البيت ، وامسـك السوط ، وفرقع به فى الهواء . وتركت العقد على جسمه علامات .

ومن مكمنه الخفى فى الغابة على بعد ثلاثمائة متر، استطاع « داروين بونابرت » المصـور التليفزيونى الشهير أن يراقب المشهد كله . وقد وضـع الصبر والمهارة نصب عينيه . فقد قضى ثلاثة أيام قابعـا داخل جذع شجرة صناعية ، ثلاث ليال يزحف على بطنه خـلال الأعشـاب الطويلة ليخفى الميكروفونات داخل الشجيرات الشـوكية ، ويدفن الأسـلاك فى الرمل الناعم الأسود . والآن حلت اللحظة الحاسمة. بعد اثنتين وسبعين ساعة من المعاناة الفظيعة . . أجل

حلت اللحظة الحاسمة ، هكذا فكر « داروين بونابرت » وهو يتحرك بين أدواته ، أعظم لحظة منذ أن عرض فيلمه المثير « زواج الغوريلا » . **وقال لنفسه :** « رائع ! » عندما بدأ الهمجي يمارس عرضه المثير ، (رائع !) . وواظب على أن تكون آلة تصويره التى تلتقط من على بعد ، موجهة ناحية الهمجى ، وجعلها تعمل فى أكفأ وضع لالتقاط الصور . المقربة للوجه ، وهو يتلوى من الغضب والألم . (شىء مدهش ! » ، ثم غير ايقاع التصوير لمدة نصف دقيقة ليصير بطيئا (ومنى نفسه أن يحدث ذلك تأثيرا كوميديا على المشاهدين) . أثناء ذلك كان يسمع صوت ضرب السياط والأنات ، والكلمات الشرسة المجنونة التى كانت تسجل على شريط الصوت الموجود أسفل شريط الصورة . كما أنه كان مبتهجا لسماع أصوات الطيور البرية .. فى الفترات التى يتوقف فيها صوت الهمجى ، وكم كان يتمنى أن يستدير حتى يستطيع أخذ لقطة مقربة للدماء وهى تسيل من على ظهره .. وبالفعل (ويالها من ضربة حظ) فقد

استدار الهمجى ، وكان باستطاعته أن يلتقط لقطة مقربة محكمة .

وقال لنفسه عندما انتهى كل شىء : « عظيم ، شىء غير معقول ، حقيقة شىء رائع » ثم مسح وجهه بمنديله . عندما انتهوا من اعداد الفيلم فى الاستوديو، كان بالفعل شيئا رائعا .

بعد اثنى عشر يوما ، كان فيلم « همجى من سارى » يعرض فى كل دور عرض الدرجة الأولى فى غرب أوربا .

كان تأثير عرض فيلم «داروين بونابرت » تأثيرا فوريا وعظيما ، وبعد ظهر اليوم التالى للعرض الأول للفيلم ، تعكر صفو هدوء وعزلة « جون » بوصول عدد هائل من طائرات الهليوكوبتر الى المنطقة . كان يحفر فى الحديقة ـ يحفر ، وهو يفكر فى نفس الوقت فى الموت . الموت ـ وأخذ يرفع التراب بجاروفه مرة، ومرة ، وهكذا . وتذكر قول ماكبث . كل أيامنا الماضية اضاءت لنا طريق الموت بحماقة . ثم رفع

جاروفا آخر . وتساءل لماذا ماتت ليندا ؟ لماذا تحتم عليها ان تعيش حياة اقل من مستوى البشر ثم أخيرا .. وانتابته رعدة .

فى تلك اللحظة غدت السماء مظلمة . وفجأة اصبح فى الظل . كان هناك شىء بينه وبين الشمس. تطلع الى أعلى فى دهشة ، حيث كان يحفر ويفكر أيضا ، فرأى فوقه سحابة من الطائرات تحوم فى الهواء . كانت مثل الحشرات الضارة المعلقة فى الهواء فوق رأسه تماما فى هذه اللحظة ، ثم نزلت كلها حوله بين الأعشاب الطويلة والشجيرات القصيرة . ومن داخل هذه الحشرات العملاقة هبط رجال يرتدون بنطلونات بيضاء من صوف صناعى ، ونساء يرتدين بنطلونات قصيرة من القطيفة وبلوزات من الحرير الصناعى .. من كل طائرة اثنان .. وخلال دقائق قليلة كان يوجد العشرات منهم يحيطون بالبرج فى شكل دائرة ،يحملقون ، يلتقطون الصور ، يلقون بالمكسرات والحلويات ، كما لو أنه حيوان فى حديقة الحيوان . وفى كل لحظة ، كانوا يتدفقون من جميع

الجهات فى سيل لا ينقطع ، ويزداد عـددهم اكثر واكثر .

بدأ الهمجى يتراجع فى هذه اللحظة ، مثل حيوان وقع فى أسر الصيادين ، ووقف مستندا الى حائط المبنى يتطلع من وجه الى وجه فى ذعر صامت مثل رجل فاقد الوعى .

وصاح : » ابعدوا عن هنا » !

لقد تكلم الحيوان . وضحك الجمع وصفقوا بأيديهم . « رائع ، ايها الهمجى العزيز ! » .. وخلال تلك الضجة سمع صيحات تطالب بـ « السوط السوط ! السوط » !

آذته هذه الكلمات ودفعته لأن يقوم بفعل شىء ما . فأمسك بحزمة من الحبال ذات العقد ، التى كانت معلقة خلف الباب واخذ يهزها فى وجه معذبيه .

ضجوا من الضحك .

تقدم نحوهم بهيئته المرعبـة . وصرخت امراة من الخوف . وتقهقروا قليلا الى الوراء ، ثم وقفوا ثابتين . شجعهم على ذلك ، كثرة عددهم الأمر الذى لم يكن الهمجى يتوقعه .

ـ « لمـاذا لا تتركونى وحدى ؟ » قـال ذلك من خلال دموعه الغاضبة . ثم سألهم « ماذا تريدون منى ؟ » واخذ يتنقل ببصره فى وجوههم المبتسـمة الغبيـة .

ـ « السوط » . اجابت مئات الأصـوات فى صيحة واحدة . « دعنا نراك تقوم بمشهد الجلد » .

ثم ، رددوا ، جميعا وبصـوت بطىء عميق ، « نحن ـ نريد ـ الـ ـ سوط » . وصاحت مجموعة اخرى فى آخـر الصـف ، « نحن ـ نريـد ـ الـ ـ سـوط » .

والتقط آخرون الصيحة ، واخـذت الجملة تتردد مرات ومرات بصوت اعلى واعلى ، حتى لم

تعد هناك كلمات أخرى تقال سوى « نحن ــ نريد ــ الـ ــ سوط » .

فى هذه اللحظة وصلت طائرة هيلوكوبتر اخرى. عندما حطت وفتح الباب ، نزل منها أولا رجل احمر الوجه ، ثم امرأة شابة ترتدى بنطلونا قصــيرا من القطيفة الخضراء الصناعية ، وبلوزة بيضاء وقبعــة انيقــة .

وعندما رأى الهمجى وجه المرأة ، شحب وجهه وتراجع الى الوراء .

وقفت المرأة الشابة ، تبتسم له ــ ابتسامة غير واضحة ، ابتسامة كان القصد منها أن تهدئه . ومرت اللحظات . وتحركت شفتاها . كانت تقول شيئا ، لكن صوتها غاص فى صيحات الجمع .

« نحن ــ نريد ــ الـ ــ سوط ! نحن ــ نريد ــ الـ ــ سوط ! » .

ضغطت المرأة بكلتا يديها على جنبها الأيسر ، وظهر على وجهها الذى يشبه وجه الدمية الجميلة ،

تعبير حزين غير مألوف . وغدت عيناها الزرقـاوان أكثر اتساعا وبريقا ، وفجـأة انحدرت دمعتان على خديها ، تحرك فمها مرة ثانية ، رغم أن كلماتها لم تسمع . ثم بحركة سريعة متعاطفة مدت ذراعيهـا نحو الهمجى ، وتقدمت ناحيته .

وتعـالت الصيحـات ، « نحن نريد ــ الـ ــ سوط ! نحن ــ نريد ... » .

وفجأة تحقق ما كان يطلبونه .

فقد اندفـع الهمجى ناحيتهـا كالمجنون وهـو يصيح : « العـاهرة ! » وبدأ يضربهـا بالسـوط ذى العقد الصغيرة .

اسـتدارت تجرى لكى تتفـادى ضرباته ، لكن قدمها تعرقلت فى جـذور بعض الشجيرات وسقطت على وجههـا بين الأعشـاب الطويلة . فصرخت : « هنرى ، هنرى ! » لكن رفيقها ذا الوجه الأحمر كان قد فر واختبأ خلف الهليوكوبتر .

واندفع الجمـــع ناحيـــة المكان الذى يقف فيه الهمجى ، وهو ينهال ضربا على ذلك الجسد الرقيق الملقى بين الأعشاب .

أخذ الجميع بهذا المنظر الغريب المفزع المؤلم ، فبدأوا يقلدون حركاته المجنونة ، وقد دفعهم الى ذلك عادة التعاون ، وتلك الرغبـــة فى تقليد الآخرين التى غرست فى أعماقهم أثناء تكيفهم ، فأخذ كل منهم يضرب الآخر مثلما يفعل الهمجى بضرب نفســـه . أو بضرب ذلك الجســـد الهزيـــل الذى يتـــلوى بين الأعشاب عند قدميه .

واخذ الهمجى يردد : « اقتلوها ، اقتلوها ، اقتلوها » .

وفجأة شرع أحدهم يغنى « أورجى ـ بورجى » وما أن سمعوا الأغنية ، حتى شرعوا يغنون ، ثم بدأ الرقص . أورجى ـ بورجى . حلقـــات ، حلقـــات ، حلقات ، وكل منهم يضرب الآخر على ايقاع الأغنيـة . أورجى ـ بورجى .. !

كان الوقت بعد منتصف الليل ، عندما طارت آخر هليوكوبتر . وارتمى الهمجى نائما بين الأعشاب من تأثير السوما الغبى ، ومن فرط ما بذله من جهد . وعندما استيقظ كانت الشمس فى كبد السماء . ظل ممددا للحظة ــ وفجأة تذكر ــ كل شيء .

ــ « أوه ، يا الهى ، يا الهى ! » وغطى عينيه بيديه . فى ذلك المساء ، أظلمت السماء بطائرات الهليوكوبتر المتجهة الى مبنى البرج فى سيل لا ينتهى . ونشرت تفاصيل ما حدث بالأمس فى كل الجرائد .

ــ « أيها الهمجى ! » نادى أول من وصلوا عندما هبطوا من طائراتهم . « أيها السيد الهمجى » !

كان باب المبنى نصف مفتوح . دفعوا الباب على مصراعيه وساروا فى العتمة الى الداخل . واستطاعوا أن يروا عبر الباكية الموجودة على الجانب الآخر من الحجرة ــ السلالم التى تؤدى الى الأدوار العلوية ــ وتحت قمة الباكية تماما كانت تتدلى قدمان .

« انه ، الهمجى » !

وببطء ، ببطء شديد ، مثل طرفى ابرة البوصلة ، كانت القدمان ، تتحركان ناحية اليمين ، الشمال ، الشمال الشرقى ، الشرق ، الجنوب الشرقى ، الجنوب الغربى ، ثم توقفتا ، وبعد لحظات قليلة ، تحركتا ببطء ، ببطء شديد ، الى العكس تجاه اليسار . تجاه الجنوب ، الجنوب الغربى ، الجنوب الشرقي ، الشرق ...

تم التحميل من
مكتبة